سفرنامه
ناصر خسرو

بسم الله الرحمن الرحیم

سفرنامه ناصرخسرو

کاتب:

ناصرخسرو

نشرت فی الطباعة:

مکتبة اهل البیت

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

سفرنامه ناصر خسرو

اشارة

زبان: فارسی نویسنده: ناصر خسرو قبادیانی

صفحه ۰۰۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱

سفر نامه ناصر خسرو

(۱)

صفحه ۰۰۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۳

بسم الله الرحمن الرحیم هـذا ما یقول أبو معین الدین ناصـر خسـرو القبادیانی المروزی تاب الله عنه کانت صـناعتی الإنشاء وکنت من المتصـرفین فی أموال السـلطان وأعماله واشـتغلت بالدیوان وباشـرت هذا العمل مدهٔ من الزمن وذاع صـیتی بین أقرانی وفی ربیع الآخر سنهٔ ۴۳۷ أیـام أبی سـلیمان جغری بیک داود بن میکائیل بن سـلجوق حاکم خراسان ذهبت من مرو فی عمل للـدیوان ونزلت فی بنج دیهٔ مرو الرود کان ذلک یوم قران الرأس والمشتری ویقال إن الله تعالی وتقدس یسـتجیب فیه إلی ما یطلب الناس من حاجات فذهبت إلی زاویـهٔ وصـلیت رکعتین ودعوته تعالی وتبارک أن ییسر لی أمری فلما عـدت لأصـدقائی وأصـحابی وجـدت أحدهم ینشد شـعرا فارسیا فجال بخاطری أبیات فکتبتها علی ورقهٔ لأعطیه إیاها حتی ینشدها فإذا به ینشد ما کتبت من شعر ولما أعطه الورقهٔ فتفاءلت بهذه الحال وقلت فی نفسی إن الله تعالی وتبارک قد قضی حاجتی ثم ذهبت إلی جزجانان فمکثت بها حوالی شهر وظللت أشرب الخمر

(۳۳)

مفاتیح البحث: شهر ربیع الثانی (۱)، خراسان (۱)، الرکوع، الرکعهٔ (۱)، الدیهٔ (۱)

صفحه ۰۰۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۴

قال النبی صـلی الله علیه وسلم (قولوا الحق ولو علی أنفسکم) حتی إذا کانت ذات لیلهٔ رأیت فی المنام رجلا یقول لی إلی متی تشرب هذا الشـراب الذی یسـلب لب الرجال خیر لک أن تصـحو فأجبت إن الحکماء لا یسـتطیعون شیئا غیر هذا یقلل هموم الدنیا فأجاب إن التسـریهٔ عن النفس لا تتأتی بفقد الشـعور والعقل والحکیم لا یستطیع أن یقول إن الرجل المسلوب الفؤاد یصلح هادیا للناس بل ینبغی علیه أن یبحث عما یزیـد العقل والحکمهٔ قلت وأنی لی هذا قال من جد وجد ثم أشار إلی القبلهٔ ولم یقل شـیئا فلما صـحوت من النوم کانت هذه الرؤیا ماثلهٔ بأکملها أمامی وقد أثرت فی فقلت لنفسـی صحوت من نوم البارحهٔ وینبغی أن أصحو من نوم أربعین سنهٔ خلت وأمعنت الفکر فوجـدتنی لن أسـعد ما لم أعـدل عن کل سـلوکی وفی یوم الخمیس من جمادی الآخر سـنهٔ ۴۳۷ (۲۰ دیسمبر ۱۰۴۵) منتصف شـهر دی من السنهٔ الفارسیهٔ ۴۱۰ من التقویم الیزدجردی اغتسـلت وذهبت إلی الجامع فصـلیت ودعوت الله تبارک وتعالی أن یعیننی علی أداء الواجب وعلی ترک المنهیات والسیئات کما أمر الحق سبحانه تعالی

(۳۴)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، النوم (۱)

صفحه ۰۰۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۵

ثم توجهت من هناك إلى شبورغان وفى المساء كنت فى قرية باریاب ومنها سرت إلى مرو الرود عن طريق سنكلان وطالقان فلما بلغت مرو طلبت إعفائى مما عهد إلى من عمل وقلت إنى عازم على الحج ثم أديت ما على من حساب وتركت أموالى عدا القليل الضرورى منها وفى الثالث والعشرين من شعبان (۶ مارس ۱۰۴۶) عزمت على السفر إلى نيشابور فسرت من مرو إلى سرخس وهى على ثلاثين فرسخا منها ومن سرخس إلى نيشابور أربعون فرسخا وقد بلغتها يوم السبت الحادى عشر من شوال (۲۲ ابريل ۱۰۴۶) ويوم الأربعاء آخر هذا الشهر كسفت الشمس وكان الحاكم حينئذ طغرل بيك محمد أخو جغرى بيك وكانوا يشيدون مدرسة بقرب سوق السراجين أمر ببنائها وقد ذهب أثناء ولايته لأول مرة للاستيلاء على ولاية أصفهان وفى الثانى من ذى القعدة (۱۲ مايو ۱۰۴۶) غادرت نيشابور فى صحبة الأستاذ الموفق الذى كان مؤدبا للسلطان فبلغنا قومس عن طريق كوان وزرت الشيخ بايزيد البسطامى قدس الله روحه وفى الجمعة الثامن من ذى القعدة (۱۸ مايو ۱۰۴۶) سرت إلى دامغان

(۳۵)

مفاتيح البحث: شهر ذى القعدة (۲)، شهر شعبان المعظم (۱)، مدينة إصفهان (۱)، شهر شوال المكرم (۱)، الحج (۱)

صفحه ۰۰۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۶

ثم بلغت سمنان عن طريق آنجورى وجاشت خواران فى غرة ذى الحجة سنة ۴۳۷ (۹ يونيو ۱۰۴۶) وقد مكثت هناك زمنا وتعرفت بأهل العلم وقد دلونى على رجل اسمه على النسائى وهو شاب يتكلم الفارسية بلهجة الديالمة كان شعر رأسه مرسلا وكان وهو يتكلم يقول إنى قرأت كذا على الأستاذ أبى على سينا رحمه الله وهكذا سمعت عنه لكى أعرف أنه تلميذ ابن سينا ولما ناظرته قال إنى قليل المعرفة بكل علم وأحب أن أقرأ معك قليلا فى الحساب فخرجت متعجبا قلت ماذا يعلم الآخرين وهو لا يعلم شيئا وعدت من بلخ إلى الرى ثلاثمائة وخمسين فرسخا ويقال إنه من الرى إلى ساوه ثلاثون فرسخا ومن ساوه إلى همدان كذلك ومن الرى إلى أصفهان خمسون فرسخا وإلى آمل ثلاثون وبين الرى وآمل جبل دماوند وهو كالقبة ويسمى لواسان ويقال إن بقمته بئرا يستخرج منه النوشادر ويقال والكبريت أيضا فيصعد عليها رجال يحملون جلود البقر ويملئونها بالنوشادر ثم يدحرجونها من قمة الجبل لتعذر إيجاد طريق لنقلها وفى الخامس من محرم سنة ۴۳۸ (۱۳ يوليو ۱۰۴۶) الموافق العاشر من شهر مرداد سنة ۴۱۵ من تاريخ الفرس توجهت ناحية قزوين فبلغت قرية قوهة وكان بها قحط حتى بيع المن من خبز الشعير بدرهمين وقد غادرتها فى التاسع من محرم (۱۷ يوليو) فبلغت قزوين وهى آهلة بالحدائق التى لا تحدها أسوار أو أشواك فلا يحول دون دخولها عائق رأيت قزوين مدينة عظيمة ذات حصن مكين عليه شرفات وبها أسواق جميلة إلا أن الماء بها قليل وهو يجرى فى قنوات تحت الأرض وكان حاكمها رجلا من العلويين ويشتغل معظم صناعها بصناعة الأحذية وفى الثانى عشر من محرم سنة ۴۳۸ (۲۰ يوليو ۱۰۴۶) غادرت قزوين عن طريق بيل وقبان وهما من ضواحيها وسرت إلى قرية تسمى خرزويل

(۳۶)

مفاتيح البحث: شهر ذى الحجة (۱)، مدينة إصفهان (۱)، البيع (۱)

صفحه ۰۰۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحهٔ ۳۷

کان معنا أنا وأخی وغلام هندی کان یصحبنا زاد قلیل فذهب أخی للقریهٔ لیشتری شیئا من البقال فقال له أحدهم ماذا ترید أنا البقال فقلت کل ما عندک یناسبنا فإنا غرباء وعابرو سبیل فقال لیس عندی شیء أبدا وبعد ذلک کنت أقول إنه بقال خرزویل عن کل شخص فی أی مکان یقول کلاما من هذا النوع بعد مغادرهٔ هذه القریهٔ جزنا منحدرا صعبا وبعد مسیرهٔ ثلاثهٔ فراسخ بلغنا قریهٔ تسمی الخیر من أعمال طارم کان جوها حارا وبها شجر کثیر من الرمان والتین ومعظمه بری ومن هناک اجتزنا نهرا یسمی شاه رود علیه قریهٔ تسمی خندان تجبی فیها المکوس من قبل أمیر الأمراء وهو من ملوک الدیلم وحین یخرج النهر منها یلتقی بنهر آخر اسمه سبیدرود ثم یدخل النهران وادیا شرقی جبال جیلان ویمر النهر بجیلان ثم یصب فی بحر آبسکون بحر قزوین ویقال إن ألفا وأربعمائهٔ نهر تصب فی هذا البحر الذی یقال إن محیطه ألف ومائتا فرسخ وإن فی وسطه جزائر آهلهٔ بالسکان وقد سمعت هذا من کثرین والآن أعود إلی رحلتی وما کان فیها ومن خندان إلی شمیران ثلاثهٔ فراسخ من صحراء صخریهٔ کلها وشمیران قصبهٔ ولایهٔ طارم وعلی حافهٔ المدینهٔ قلعهٔ مرتفعهٔ مشیدهٔ علی صخر صلد محاطهٔ بثلاثهٔ أسوار وقد حفرت فی وسطها قناهٔ تجری حتی شاطیء النهر ومنها یستخرجون الماء ویحملونه إلی القلعهٔ ویقیم بها ألف رجل مختار من أبناء عظماء الولایهٔ وذلک حتی لا یستطیع أحد أن یضل أو یثور ویقال إن لهذا الأمیر قلاعا کثیرهٔ فی ولایهٔ الدیلم وإن العدل والأمن مستتبان بها فلا یستطیع أحد أن یغتصب شیئا من غیره بل إن الناس هناک یدخلون مسجد الجمعهٔ ویترکون أحذیتهم خارجهٔ فلا یأخذها أحد ویکتب هذا الأمیر اسمه هکذا مرزبان الدیلم جیل جیلان أبو صالح

(۳۷)

مفاتیح البحث: بحر قزوین (۱)، الضلال (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۰۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحهٔ ۳۸

مولی أمیر المؤمنین واسمه جستان إبراهیم وقد رأیت فی شمیران رجلا طیبا من دربند اسمه أبو الفضل خلیفهٔ بن علی الفیلسوف کان رجلا فاضلا أضافنا وأکرمنا وقد تناظرنا معا واتصلت بیننا الصداقهٔ سألنی علام عزمت فقلت أنی أنوی الحج قال أرید أن تمر بنا فی عودتک حتی أراک وفی السادس والعشرین من محرم (۳ أغسطس ۱۰۴۶) غادرت شمیران وفی الرابع عشر من صفر (۲۱ أغسطس) بلغت مدینهٔ سراب وغادرتها فی السادس عشر (۲۳ أغسطس) ثم مررت بسعید آباد وبلغت تبریز فی عشرین صفر ۴۳۸ (۲۷ أغسطس ۱۰۴۶) وکان ذلک فی الخامس من شهر یور الشهر القدیم وتبریز قصبهٔ ولایهٔ آذربیجان وهی مدینهٔ عامرهٔ وقد قست طولها وعرضها فکان کل منهما ألفا وأربعمائهٔ قدم وکان ملک ولایهٔ آذربیجان یذکر هکذا فی الخطبهٔ الأمیر الأجل سیف الدولهٔ وشرف الملهٔ أبو منصور وهسودان بن محمد مولی أمیر المؤمنین وحکوا لی أنه فی لیلهٔ الخمیس السابع عشر من ربیع الأول ۴۳۴ (۵ دیسمبر ۱۰۴۲) فی الأیام المسترقهٔ بعد العشاء زلزلت الأرض فخرب جزء من المدینهٔ ولم یصب الجزء الآخر بسوء ویقال إنه هلک فیها حینئذ أربعون ألف نسمهٔ ورأیت فی تبریز شاعرا اسمه قطران یقول شعر

(۳۸)

مفاتیح البحث: آذربیجان (۲)، شهر ربیع الأول (۱)، أربعین الإمام الحسین علیه السلام (۱)، الحج (۱)، الهلاک (۱)

صفحه ۰۰۸

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۳۹
جميلا ولكنه لم يكن يجيد الفارسية وقد زارنى ومعه ديوانى منجيك والدقيقى وقرأ على منهما وسألنى عما أشكل عليه من المعانى فكنت أجيبه وهو يكتب ما أقول ثم تلى على شيئا من أشعاره فى الرابع عشر من ربيع الأول (۱۹ سبتمبر) غادرت تبريز عن طريق مرند مع جماعة من جيش الأمير وهسودان فسرنا حتى بلغنا خوى ومن هناك سرنا إلى بر كرى بصحبة رسول ومن خوى إلى بركزى ثلاثون فرسخا وقد بلغناها فى الثانى عشر من جمادى الأولى (۱۶ نوفمبر) ومن هناك ذهبنا إلى وان ثم إلى وسطان وكان لحم الخنزير يباع فى سوقها كما يباع الضأن ويجلس نساؤها ورجالها أمام الحوانيت ويشربون بغير حياء ومن هناك بلغنا مدينة أخلاط فى الثامن عشر من جمادى الأولى (۲۲ نوفمبر) وهى على الحدود ما بين بلاد المسلمين والأرمن وبينها
(۳۹)
مفاتيح البحث: شهر جمادى الأولى (۲)، شهر ربيع الأول (۱)

صفحه ۰۰۹

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۴۰
وبين بركرى تسعة عشر فرسخا وعليها أمير اسمه نصر الدولة نيف على المائة وله أبناء كثيرون أعطى كلا منهم ولاية ويتكلمون بها ثلاث لغات العربية والفارسية والأرمنية وأظن أنها سميت أخلاط لهذا السبب والمعاملة هناك بالنقود النحاسية ورطلهم ثلاثمائة درهم فى العشرين من جمادى الأول (۲۴ نوفمبر) غادرنا أخلاط ونزلنا فى رباط كروانسراى كانت السماء تمطر ثلجا والبرد قارسا وقد غرسوا فى جزء من الطريق عمدا ليسير المسافرون على هديها أيام الثلج والضباب ثم بلغنا مدينة بطليس وهى واقعة فى واد وقد اشترينا منها عسلا المائة من بدينار حسب ما باعونا ويقال إن بها من يجنى فى السنة الواحدة ثلاثمائة وأربعمائة جرة عسل وخرجنا منها فرأينا قلعة تسمى قف انظر وتركناها إلى مكان به جامع يقال بناه أويس القرنى قدس الله روحه ورأيت الناس عند حدوده يطوفون بالجبل ويقطعون أشجارا تشبه السرو فسألت ماذا تعملون بها فقالوا نضع طرفا من الشجرة فى النار فيخرج هذا القطران من طرفها الآخر فنجمعه فى البئر ثم نضعه فى أوعية ونحمله إلى الأطراف وهذه الولايات التى ذكرت بعد أخلاط وقد اختصرنا ذكرها هنا
(۴۰)
مفاتيح البحث: أويس القرنى (۱)، السب (۱)

صفحه ۰۱۰

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۴۱
تابعة لميافارقين ثم سرنا إلى مدينة أرزن وهى مدينة عامرة وجميلة فيها أنهار جارية وبساتين وأشجار وأسواق جميلة ويبيع البرسيون هناك المائتا من عنبا بدينار واحد فى شهر آذر نوفمبر وديسمبر ويسمون هذا العنب رز إرمانوش وانتقلنا إلى مدينة ميافارقين التى يفصلها عن أخلاط ثمانية وعشرون فرسخا ومن بلخ إليها عن الطريق الذى إجتزناه اثنان وخمسون وخمسمائة فرسخ وقد دخلناها يوم الجمعة السادس والعشرين من جمادى الأول ۳۳۸ (۲۳ نوفمبر ۱۰۳۶) وكانت أوراق الشجر حينئذ لا تزال خضراء وميافارقين محاطة بسور عظيم من الحجر الأبيض الذى يزن الحجر منه خمسمائة من وعلى بعد كل خمسين ذراعا من هذا السور برج عظيم من الحجر نفسه وفى أعلاه شرفات وهى من الدقة بحيث تقول أن يد بناء ماهر أكملتها اليوم ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب له عتبة عليها

طاق حجرى وقد ركب عليها باب من حديد لا خشب فيه ويطول وصف مسجد الجمعة بها لو ذكرته ولو أن صاحب الكتاب شرح كل شىء أتم الشرح وقد قال إن للميضأة التى عملت بهذا المسجد أربعين مرحاضا تمر أمامها قناتان كبيرتان الأولى ظاهرة ليستعمل ماؤها والثانية وهى تحت الأرض لحمل الثفل وللصرف وخارج هذه المدينة فى الربض أربطة كروانسراها وأسواق وحمامات ومسجد وجامع آخر يصلون فيه الجمعة أيضا وفى ناحية الشمال سواد آخر يسمى المحدثة به سوق ومسجد

(۴۱)

مفاتيح البحث: السجود (۴)

صفحه ۱۱

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۴۲

جامع وحمامات وكل ما ينبغى لمدينة من مهمات ويذكر اسم سلطان الولاية فى الخطبة هكذا الأمير الأعظم عز الإسلام سعد الدين نصر الدولة وشرف الملة أبو نصر أحمد وقد بلغ المائة من عمره ويقال إنه حى والرطل هناك أربعمائة وثمانون درهما وقد بنى هذا الأمير مدينة على مسافة أربعة فراسخ من ميافارقين سماها الناصرية ومن آمد إلى ميافارقين تسعة فراسخ فى السادس من شهر دى القديم (۲۲ ديسمبر ۱۰۳۶) بلغنا آمد التى شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم وعرضها كذلك وهى محاطة بسور من الحجر الأسود كل حجر منه يزن ما بين مائة وألف من وأكثر هذه الحجارة ملتصق بعضه بالبعض من غير طين أو جص وارتفاع السور عشرون ذراعا وعرضه عشر أذرع وقد بنى على بعد كل مائة ذراع برج نصف دائرته ثمانون ذراعا وشرفاته من هذا الحجر بعينه وقد شيدت فى عدة أماكن داخل المدينة سلالم من الحجر ليتيسر الصعود إلى السور وقد بنيت قلعة على قمة كل برج ولهذه المدينة أربعة أبواب كلها من الحديد الذى لا خشب فيه يطل كل منها على جهة من الجهات الأصلية ويسمى الباب الشرقى باب دجلة والغربى باب الروم والشمالى باب الأرمن والجنوبى باب التل وخارج هذا السور سور آخر من نفس الحجر ارتفاعه عشر أذرع ومن فوقه شرفات فيها ممر يتسع لحركة رجل كامل السلاح بحيث يستطيع ان يقف فيه ويحارب بسهولة ولهذا السور الخارجى أبواب من الحديد شيدت مخالفة لأبواب السور الداخلى بحيث لو اجتاز السائر أبواب السور الأول وجب عليه اجتياز مسافة لبلوغ أبواب السور الثانى وهذه المسافة تبلغ خمس عشرة ذراعا وفى وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الصلب وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفى لإدارة خمس طواحين وهو غاية فى العذوبة ولا يعرف أحد من أين ينبع وفى المدينة أشجار وبساتين تقى من هذا الماء وأمير المدينة وحاكمها هو ابن نصر

(۴۲)

مفاتيح البحث: الحجر الأسود (۱)

صفحه ۱۲

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۴۳

الدولة الذى مر ذكره وقد رأيت كثيرا من المدن والقلاع فى أطراف العالم فى بلاد العرب والعجم والهند والترك ولكنى لم أر قط مثل مدينة آمد فى أى مكان على وجه الأرض ولا سمعت من أحد أنه رأى مكانا آخر مثلها ومسجدها الجامع من الحجر الأسود وليس مثله متانة وإحكاما وقد أقيم فى وسطه مائتا عمود ونيف من الحجر كل عمود قطعة واحدة وفوق هذه الأعمدة عقود من الحجر وقد نصبت فوقها أعمدة أقصر من تلك وجميع أسقف المسجد على هيئة الجملون وقد كملت نجارة ونقارة ونقشا ودهنا وفى ساحته صخرة كبيرة عليها حوض كبير مستدير من الحجر يبلغ ارتفاعه قامة رجل ومحيط دائرته ذراعان وفى وسط الحوض أنبوبة من النحاس يتفجر منها ماء صاف لا يظهر مدخله أو مخرجه وبالمسجد ميضأة عظيمة جميلة الصنع بحيث لا يوجد أحسن منها وقد بنيت عمارات

آمد كلها من الحجر الأسود وأما ميافارقين فعماراتها من الحجر الأبيض وبالقرب من المسجد كنيسة عظيمة غنية بالزخارف مبنية كلها من الحجر وقد فرشت أرضها بالرخام المنقوش وقد رأيت فيها على الطارم وهو مكان العبادة عند النصارى بابا من الحديد المشبك لم أر مثله فى أى مكان ومن آمد إلى حران طريقان أحدهما لا عمران فيه وهو أربعون فرسخا والثانى به أماكن معمورة وقرى كثيرة معظم أهلها من النصارى وهو ستون

(۴۳)

مفاتيح البحث: الحجر الأسود (۲)، الهند (۱)، السجود (۲)

صفحه ۰۱۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۴

فرسخا وقد سرنا مع القافلة فى هذا الطريق وكانت الصحراء غاية فى الاستواء إلا أن بها أحجارا كثيرة بحيث لا تستطيع الدواب أن تخطو خطوة واحدة من غير أن تعثر بحجر وقد بلغنا حران يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الآخر سنة ۳۳۸ (۲۸ ديسمبر ۱۰۴۶) الموافق اثنين وعشرين من شهر دى القديم وكان هواؤها فى ذلك الوقت كهواء خراسان أيام النوروز وسرنا من هناك فبلغنا مدينة تسمى قرول حيث أضافنا رجل كريم فى بيته وهناك دخل أعرابى فى الستين من عمره فاقترب منى وقال حفظنى القرآن فلقنته * (قل أعوذ برب الناس) * فكان يقرؤها معى فلما وصلت إلى آية * (من الجنة والناس) * قال أقول أيضا سورة أرأيت الناس فقلت هذه السورة ليست قبل تلك فقال ما سورة نقالة الحطب ولم يعرف أنه قيل فى سورة * (تبت) * حمالة الحطب لا نقالة الحطب ولم يستطع هذا الأعرابى المشرف على الستين فى تلك الليلة أن يحفظ سورة * (قل أعوذ) * مع تكرارى لها معه وفى يوم السبت الثانى من رجب سنة ۳۳۸ (۲ يناير ۱۰۴۷) بلغنا مدينة سروج واجتزنا الفرات فى اليوم التالى ونزلنا فى منبج وهى أول مدن الشام وكان هذا أول بهمن القديم يناير فبراير والطقس هناك معتدل جدا ولم يكن خارج المدينة عمارات قط وقد سرت منها إلى حلب ومن ميافارقين إليها إلى حلب مائة فرسخ ورأيت مدينة حلب فإذا هى جميلة بها سور عظيم قست ارتفاعه فكان خمسا وعشرين ذراعا وبها قلعة عظيمة مشيدة كلها من الصخر ويمكن مقارنة حلب ببلخ وهى مدينة عامرة أبنيتها متلاصقة وفيها تحصل المكوس عما يمر بها من بلاد الشام والروم وديار بكر ومصر والعراق

(۴۴)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، نهر الفرات (۱)، القرآن الكريم (۱)، خراسان (۱)، الشام (۲)، الكرم، الكرامة (۱)

صفحه ۰۱۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۵

ويذهب إليها التجار من جميع هذه البلاد ولها أربعة أبواب باب اليهود وباب الله وباب الجنان وباب أنطاكية والوزن فى سوقها بالرطل الظاهرى وهو أربعمائة وثمانون درهما وتقع حما جنوبى حلب بعشرين فرسخا ومن بعدها حمص ومن حلب إلى دمشق خمسون فرسخا وإلى أنطاكية اثنا عشر فرسخا وإلى طرابلس كذلك ويقال إن من حلب حتى القسطنطينية مائتى فرسخ وفى الحادى عشر من رجب سنة ۴۳۸ (۱۱ يناير ۱۰۴۷) خرجنا من حلب وعلى مسافة ثلاثة فراسخ منها قرية تسمى جند قنسرين وفى اليوم التالى سرنا ستة فراسخ وبلغنا مدينة سرمين التى لا سور لها وبعد مسيرة ستة فراسخ أخرى بلغنا معرة النعمان وهى مدينة عامرة ولها سور مبنى وقد رأيت على بابها عمودا من الحجر عليه كتابة غير عربية فسألت ما هذا فقيل إنه طلسم العقرب حتى لا يكون فى هذه المدينة عقرب

أبـدا ولا يأتى إليها وإذا أحضـر من الخارج وأطلق بها فإنه يهرب ولا يـدخلها وقـد قست هذا العمود فكان ارتفاعه عشـر أذرع ورأيت أسواق معرة النعمان وافرة العمران وقد بنى مسـجد الجمعة على مرتفع وسط المدينة بحيث يصعدون اليه من أى جانب يريدون وذلك على ثلاث عشـرة درجـة وزراعـة السـكان كلها قمـح وهو كثير وفيها شـجر وفير من التين والزيتون والفسـتق والعنب ومياه المدينـة من المطر والآبار وكان بهـذه المدينـة رجل أعمى اسـمه أبو العلاء المعرى وهو حاكمها وكان واسع الثراء عنده كثير من العبيد وكان أهل البلد خدم له

(۴۵)

مفاتيح البحث: أبو علاء المعرى (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، دمشق (۱)، الوسعة (۱)، السجود (۱)

صفحه ۱۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۶

أما هو فقد تزهد فلبس الكلتم واعتكف فى البيت وكان قوته نصف من من خبز الشعير لا يأكل غيره وقد سمعت أن باب سراية مفتوح دائما وأن نوابه وملازميه يـدبرون أمر المدينـة ولا يرجعون إليه إلا فى الأمور الهامـة وهو لا يمنع نعمته أحـدا يصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشـغل نفسه مطلقا بأمر دنيوى وقـد سـما المعرى فى الشـعر والأدب إلى حد أن أفاضل الشام والمغرب والعراق يقرون بأنه لم يكن من يـدانيه فى هـذا العصـر ولا ـ يكون وقـد وضع كتابـا سـماه الفضول والغايات ذكر به كلمات مرموزة وأمثالا فى لفظ فصـيح عجيب بحيث لا ـ يقف النـاس إلا ـ على قليل منه ولا يفهمه إلا من يقرأه عليه وقـد اتهموه بأنك وضـعت هـذا الكتاب معارضـة للقرآن يجلس حوله دائما أكثر من مائتى رجل يحضـرون من الأطراف يقرءون عليه الأدب والشـعر وسـمعت أن له أكثر من مائة ألف بيت شـعر سأله رجل لم تعط الناس ما أفاء الله تبارك وتعالى عليك من وافر النعم ولا تقوت نفسك فأجاب إنى لا أملك أكثر مما يقيم أودى وكان هذا الرجل حيا وأنا هناك وفى الخامس عشـر من رجب سـنة ۳۳۸ (۱۵ يناير ۱۰۴۷) سـرنا إلى كويمات ومنها إلى حما وهذه المدينة جميلة عامرة على شاطىء نهر العاصـى ويسـمى هذا النهر بالعاصـى لأنه يذهب إلى بلاد الروم فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلاد الكفر وقـد نصـبوا عليه سواقى كثيرة ومن حما طريقان أحـدهما بجانب الساحل غرب الشام والآخر فى الجنوب وهو ينتهى إلى دمشـق فسـرنا عن طريق الساحل وقـد رأينا فى الجبل عينا قيل إن ماءها يتفجر فى الثلاثة أيام التالية لنصف شـعبان من كل سـنة ثم ينضب فلا تخرج منه قطرة واحدة حتى السنة التالية ويذهب الكثيرون

(۴۶)

مفاتيـح البحث: دولة العراق (۱)، النصف من شـعبان (۱)، شـهر رجب المرجب (۱)، الشام (۲)، دمشق (۱)، الصيام، الصوم (۱)، المنع (۱)، الأكل (۱)، النضوب (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۱۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۷

لزيارة هذه العين تقربا إلى الله سـبحانه وتعالى وقد بنيت هناك عمارات وأحواض ولما سـرنا من هناك بلغنا سهلا كساه النرجس ثوبا أبيض وذهبنا بعـد ذلك إلى مدينـة تسـمى عرقـة وبعـد مسيرة فرسـخين منها بلغنا شاطىء البحر فتبعناه ناحية الجنوب حتى بلغنا مدينة طرابلس بعـد مسـيرة خمسة فراسخ ومن حلب إلى طرابلس أربعون فرسـخا عن هذا الطريق وكان بلوغنا إياها يوم السـبت الخامس من شعبان (۶ فبراير) وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السـكر وأشجار النارنج والترنج والموز والليمون والتمر وكان عسل السـكر يجمع حينـذاك ومدينـة طرابلس مشـيدة بحيث أن ثلاثـة من جوانبها مطلـة على البحر فإذا ماج علت أمواجه السور أما الجانب

المطل على اليابس فبه خندق عظيم عليه باب حديدى محكم وفى الجانب الشرقى من المدينة قلعة من الحجر المصقول عليها شرفات ومقاتلات من الحجر نفسه وعلى قمتها عرادات لوقايتها من الروم فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن ومساحة المدينة ألف ذراع مربع وأربطتها أربع أو خمس طبقات ومنها ما هو ست طبقات أيضا وشوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين وقد رأيت بطرابلس ما رأيت فى بلاد العجم من الأطعمة والفواكه بل أحسن منه

(۴۷)

مفاتيح البحث: شهر شعبان المعظم (۱)، الطعام (۱)

صفحه ۰۱۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۸

مائة مرة وفى وسط المدينة جامع عظيم نظيف جميل النقش حصين وفى ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام فى وسطه فواره من النحاس الأصفر وفى السوق مشرعة ذات خمسة صنابير يخرج منها ماء كثير يأخذ منه الناس حاجتهم ويفيض باقيه على الأرض ويصرف فى البحر ويقال إن بها عشرين ألف رجل ويتبعها كثير من السواد والقرى ويصنعون بها الورق الجميل مثل الورق السمرقندى بل أحسن منه وهى تابعة لسلطان مصر قيل وسبب ذلك أنه فى زمن ما أغار عليها جيش الروم الكفار فحاربه جند سلطان مصر وقهروه فرفع السلطان الخراج عنها وأقام بها جيشا من قبله على رأسه قائد لحمايتها من العدو وتحصل المكوس بهذه المدينة فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنج والأندلس والمغرب العشر للسلطان فيدفع منه أرزاق الجند وللسلطان بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة وسكان طرابلس كلهم شيعة وقد شيد الشيعة مساجد جميلة فى كل البلاد وهناك بيوت على مثال الأربطة ولكن لا يسكنها أحد وتسمى مشاهد ولا يوجد خارج طرابلس بيوت أبدا عدا مشهدين أو ثلاثة من التى مر ذكرها وغادرت طرابلس وسرت على شاطىء البحر ناحية الجنوب فرأيت على مسافة فرسخ واحد قلعة تسمى قلمون فى داخلها عين ماء وسرت من هناك إلى طرابزون ومن طرابلس إليها خمسة فراسخ ومنها بلغنا مدينة جبيل وهى مثلثة تطل زاوية منها على البحر ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع وحولها النخيل غيره من أشجار المناطق الحارة وقد رأيت فى يد غلام بها وردة حمراء وأخرى بيضاء ناضرة وكان ذلك فى اليوم الخامس من استدارمذ الشهر القديم (فبراير) سنة ۳۱۵ من تاريخ العجم ومن هناك بلغنا بيروت فرأيت بها طاقا حجريا شق الطريق فى وسطه وقد قدرت ارتفاعه بخمسين ذراعا وجانباه من الحجر الأبيض

(۴۸)

مفاتيح البحث: مدينة بيروت (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۱۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۹

تزن كل قطعة منه أكثر من ألف من وعلى جانبيه بناء من الطوب النيىء ارتفاعه عشرون ذراعا وقد نصبت على قمته أعمدة من الرخام طول كل منها ثمانية أذرع وهى سميكة بحيث لا يستطيع رجلان أن يحيطاها بأذرعهما إلا بصعوبة وعلى رأس هذه العمد عقود على الجانبين كلها من الحجر المنحوت الذى لا يفصله عن بعضه حص أو طين وفى الوسط تماما الطاق الكبير يعلوها بخمسين ذراعا وقد قست كل حجر منه فإذا به ثمانية أذرع طولا وأربعة عرضا وأظن الحجر الواحد يزن سبعة آلاف من وقد نقشت هذه الحجارة بدقة ومهارة بحيث يقل ما يشابهها مما ينقش على الخشب ولم يبق هناك أبنية غير هذا الطاق وقد سألت أى مكان هذا فقيل لى سمعنا أنه باب حديقة فرعون وهو بالغ فى القدم والوادى المجاور لهذه الناحية مملوء بأعمدة الرخام تيجانها وجذوعها وهى من الرخام المدور

والمربع والمسدس والمثمن وهى من الصلابة بحيث لا يؤثر فيها الحديد وليس فى هذه الجهة جبل حتى يقال إنهم جلبوها منه وهناك حجارة تبدو كأنها معجونة جرانيت وهى تفل الحديد وفى نواحى الشام أكثر من خمسمائة ألف من أعمدة وتيجان وجذوع ولا يعرف أحد ماذا كانت ولا من أين نقلت ثم بلغنا مدينة صيدا وهى على شاطىء البحر أيضا يزرع بها قصب السكر بوفرة وبها قلعة حجرية محكمة ولها ثلاث بوابات وفيها مسجد جمعة جميل يبعث فى النفس هيبة تامة وقد فرش كله بالحصير المنقوش وفى صيدا سوق جميل نظيف وقد ظننت حين رأيته أنه زين خاصة لمقدم السلطان أو لأن بشرى سعيدة أذيعت فلما سألت قيل لى هكذا عادة هذه المدينة دائما وفيها حدائق وأشجار منسقة حتى لتقول إن سلطانا هاويا غرسها وفى كل من هذه الحدائق كشك وأغلب شجرها مثمر

(٤٩)

مفاتيح البحث: الشام (١)، الغلّ (١)، البعث، الإنبعاث (١)، السجود (١)

صفحه ۰۱۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ٥٠

وبعد مسيرة خمسة فراسخ على شاطىء البحر بلغنا مدينة صور وهى ساحلية أيضا وقد بنيت على صخرة امتدت فى الماء بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع والباقى فى ماء البحر والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذى سدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلله وقد قدرت المدينة بألف ذراع مربع وأربطتها من خمس أو ست طبقات وكلها متلاصقة وفى كثير منها نافورات وأسواقها جميلة كثيرة الخيرات وتعرف مدينة صور بين مدن ساحل الشام بالثراء ومعظم سكانها شيعة والقاضى هناك رجل سنى اسمه ابن أبى عقيل وهو رجل طيب ثرى وقد بنى على باب المدينة مشهد به كثير من السجاجيد والحصير والقناديل والثريات المذهبة والمفضضة وصور مشيدة على مرتفع وتأتيها المياه من الجبل وقد شيد على بابها عقود حجرية يمر من فوقها إلى المدينة وفى الجبل واد مقابل لها إذا سار السائر فيه ثمانية عشر فرسخا ناحية المشرق بلغ دمشق بعد أن سرنا سبعة فراسخ من صور بلغنا عكة وتكتب هناك مدينة عكة وهى مشيدة على مرتفع بعضه من أرض وعرة وبعضه سهل ولم تشيد المدينة فى الوادى المنخفض مخافة غلبة ماء البحر عليها وخشية أمواجه التى تعج على الساحل ومسجد الجمعة فى وسط المدينة وهو أعلى مبانيها وأعمدتها كلها من الرخام ويقع قبر صالح النبى عليه السلام خارجه على يمين القبلة وساحته بعضها من الحجر وبعضها الآخر مزروع ويقال إن آدم عليه السلام كان يزرع هناك ومسحت المدينة فكان طولها ألفى ذراع وعرضها خمسمائة ولها قلعة غاية فى الإحكام يطل جانباها الغربى والجنوبى على البحر وعلى الأخير ميناء ومعظم مدن الساحل كذلك والميناء اسم يطلق على الجهة التى بنيت للمحافظة على السفن وهى تشبه الاسطبل وظهرها ناحية المدينة وحائطاها داخلان فى البحر وعلى امتدادهما مدخل مفتوح طوله خمسون ذراعا وقد شدت السلاسل بين

(٥٠)

مفاتيح البحث: مدينة مشهد المقدسة (١)، النبى آدم عليه السلام (١)، ابن أبى عقيل (١)، الشام (١)، دمشق (١)، القبر (١)، السجود (١)

صفحه ۰۲۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ٥١

الحائطين فإذا أريد إدخال سفينة إلى الميناء أرخيت السلسلة حتى تغوص فى الماء فتمر السفينة فوقها ثم تشد حتى لا يستطيع عدو أن

يقصدها بسوء وعند الباب الشرقى على اليد اليسرى عين يصلون إلى مائها بنزول ست وعشرين درجة وتسمى عين البقر ويقال آدم عليه السلام هو الذى كشفها وكان يسقى منها بقرته ولذا سميت عين البقر وحين يذهب المسافر من عكة ناحية المشرق يجد جبلا به مشاهد الأنبياء عليهم السلام وهذا الجبل واقع على جانب الطريق المؤدى إلى الرملة وقد عزمت على التبرك بزيارة هذه المشاهد والتقرب إلى الله تبارك وتعالى وقد قال سكان عكة إن فى الطريق أشرارا يتعرضون لم يرون من الغرباء وينهبون ما معهم فأودعت نفقتى بمسجد عكة وخرجت من بابها الشرقى يوم السبت الثالث والعشرين من شعبان سنة ۳۳۸ (۵ مارس ۱۰۳۷) وقد زرت فى اليوم الأول قبر عك بانى المدينة وهو أحد الصالحين الأولياء وكنت حائرا إذا لم يكن معى دليل يرشدنى وفجأة تعرفت فى اليوم نفسه بفضل من الله تبارك وتعالى برجل من العجم أتى من آذربيجان للتبرك بزيارة المشاهد مرة أخرى فشكرت لله تبارك وتعالى هبته وصليت ركعتين وسجدت له شكرا على توفيقه إياى لأفى بعزمى ثم بلغت قرية تسمى بروة وزرت قبر عيش وشمعون عليهما السلام ومن هناك بلغت مغارك التى تسمى دامون فزرت المشهد المعروف بقبر ذى الكفل عليه السلام ثم واصلت السير إلى قرية أخرى تسمى أعبلين وبها قبر هود عليه السلام فزرته وكان بحظيرته شجرة الخرتوت وكذلك زرت هناك قبر النبى عزير عليه السلام ثم يممت وجهى شطر الجنوب فبلغت قرية تسمى حظيرة

(۵۱)

مفاتيح البحث: الأنبياء (ع) (۱)، النبى آدم عليه السلام (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، آذربيجان (۱)، السجود (۱)، القبر (۴)، الشهادة (۳)، الركوع، الركعة (۱)، التبرك (۱)، السفينة (۲)

صفحه ۰۲۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۲

وفى الجانب الغربى منها واد به عين ماء عذب تخرج من الصخر وقد بنى أمامها مسجد على الصخر به بيتان صخريان فوقهما سقف من الحجر أيضا وعليهما باب صغير يستطيع الزائر دخوله بصعوبة وهناك قبران متجاوران أحدهما قبر شعيب عليه السلام والثانى قبر ابنته التى كانت زوج موسى عليه السلام ويعنى أهل هذه القرية بهذا المسجد عناية فائقة من تنظيف وإنارة وغير ذلك ومن هناك بلغت قرية تسمى إربل وفى ناحية القبلة منها جبل فى وسطه حظيرة بها أربعة قبور لأربعة من أبناء يعقوب إخوة يوسف عليهم السلام وذهبت من هناك فرأيت تلا من تحته غار فيه قبر أم موسى عليه السلام فزرته ثم خرجت فبدا لى واد فى آخره بحر صغير تقع عليه طبرية طوله ستة فراسخ وعرضه ثلاثة وماؤه عذب لذيذ وتقع غربية المدينة وتصرف فى هذا البحر كل مياه الحمامات وفضلات المدينة وكذلك يشرب منه سكانها وسكان الولاية التى على شاطئه وسمعت أن أميرا دخل هذه المدينة ذات مرة فأمر بسد قنوات القاذورات والماء الملوث حتى لا تفضى إلى البحر فنتن ماؤه وأصبح لا يصلح للشرب فأمر ثانية بفتح هذه القنوات فعاد ماء البحر عذبا ولطبرية سور حصين يبدأ من شاطئ البحر ويمتد حول المدينة والطرف المحدود بالبحر لا حائط له وبها مبان كثيرة فى وسط البحر فإن قاعه صخرى وقد شيدت هناك مناظر على رؤوس أعمدة رخامية أساسها فى الماء وفى بحر طبرية سمك كثير ومسجد الجمعة فى وسط المدينة وعند بابه عين ماء بنى عند رأسها حمام ماؤه ساخن فلا يستطيع مستحم أن يصبه على جسده من غير أن يمزجه بماء بارد ويقال إن الذى بناه هو سليمان بن داود عليه السلام وقد دخلته وفى الجانب الغربى من مدينة طبرية مسجد اسمه مسجد الياسمين وهو مسجد جميل فى وسطه ساحة كبيرة بها محا ريب وحولها الياسمين الذى سمى به المسجد وفى رواق بالجانب الشرقى قبر يوشع بن نون وتحت هذه الساحة قبور سبعين نبيا عليهم السلام قتلهم بنو إسرائيل

(۵۲)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۲)، يوشع بن نون عليه السلام (۱)، سليمان بن داود (۱)، إربل (۱)، القبر

(۶)، السجود (۷)، القتل (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۰۲۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۳

وجنوب طبریة بحر لوط وهو مالح المیاه ویصب به ماء بحر طبریة وکانت مدینة لوط تقع علی شاطئه ولم یبقی منها أثر قط وسمعت من انسان أن فی میاه بحر لوط المالحة شیئا کالحجارة السوداء غیر صلب یشبه البقر یخرج من قاعه فیأخذه السکان ویقطعونه ویحملونه إلی المدن والولایات ویقال إنه إذا وضعت قطعة منه تحت شجرة یمتنع الدود عنها من غیر أن یمس جذرها أذی منه فلا یتلف البستان مما تحت الأرض من دود وحشرات والعهدة علی الراوی وقیل کذلک إن العطارین یستخدمونه لأنه یبعد دودة تصیب البذور اسمها النقرة وفی طبریة یصنعون الحصیر ومنه حصیر الصلاة وتشتری الواحدة منها بخمسة جنیهات مغربیة وفی الجانب الغربی من المدینة جبل فیه قطعة من حجر المرمر مکتوب علیها بخط عبری أن الثریا کانت علی رأس الحمل ساعة الکتابة ویقع قبر أبی هریرة خارج المدینة ناحیة القبلة ولکن لا یستطیع أحد زیارته لأن السکان هناک شیعة فإذا ذهب أحد للزیارة تجمع علیه الأطفال وتحرشوا به وحملوا علیه وقذفوه بالحجارة ولهذا لم أستطع زیارته سرت بعد ذلک إلی قریة تسمی کفرکنه بجانبها تل بنیت علی قمته صومعة جمیلة بها قبر النبی یونس علیه السلام وعلیها باب متین بقربه بئر ماؤها عذب وقد عدت إلی عکا بعد زیارة هذا المشهد وبینهما مسافة أربعة فراسخ فمکثت بها یوما واحدا ثم غادرتها إلی قریة تسمی حیفا وفی طریق به کثیر من هذا الرمل الذی یستخدمه صیاغ العجم والمسمی بالرمل المکی وحیفا مشیدة علی البحر وبها نخل وأشجار کثیرة وهناک عمال یصنعون السفن البحریة المسماة بالجودی وسرنا بعد ذلک فبلغنا بعد مسیرة فرسخ واحد قریة أخری تسمی کنیسة وعندها ینحرف الطریق عن البحر ویدخل الجبل ناحیة المشرق حیث الصحروات والمحاجر التی تسمی وادی التماسیح ویعود لمحاذاة الشاطئ بعد مسیرة فرسخین وهناک رأینا عظام حیوانات بحریة کثیرة مختلطة بالتراب

(۵۳)

مفاتیح البحث: أبو هریرة العجلی (۱)، القبر (۲)، الزیارة (۱)، الصّلاة (۱)، الصّلب (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۰۲۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۴

والطین وقد تحجرت من کثرة ما ثار علیها من الموج وقمنا من هناک وسرنا حتی بلغنا مدینة تسمی قیساریة بینها وبین عکا سبعة فراسخ وهی مدینة جمیلة بها ماء جار ونخیل وأشجار النارنج والترنج ولها سور حصین له باب حدیدی وبها عیون ماء جاریة ومسجد الجامع جمیل ویری المصلون البحر ویتمتعون به وهم جلوس فی ساحته وهناک زیر من الرخام یشبه الخزف الصینی وهو عمیق بحیث یسع مائة من ماء فی یوم السبت آخر شعبان (۱۰ مارس) قمنا من هناک وسرنا مقدار فرسخ عن طریق الرمل المکی وقد رأیت فی الطریق کله سهله وجبله کثیرا من شجر التین والزیتون وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدینة تسمی کفرسابا أو کفر سلام ومنها حتی الرملة ثلاثة فراسخ فی طریق کله شجر کالذی ذکرت وفی یوم الأحد غرة رمضان (۱۱ مارس) بلغنا الرملة ومن قیساریة إلیها ثمانیة فراسخ وهی مدینة کبیرة بها سور حصین من الحجر والجص مرتفع ومتین وعلیه أبواب من حدید ومن المدینة إلی الشاطئ البحر ثلاثة فراسخ والماء هناک من المطر ولذا فقد بنی فی کل منزل حوض لجمیع میاه المطر فیبقی ذخیرة دائمة وفی وسط مسجد الجمعة أحواض تمتلی بالماء فیأخذ منه من یشاء ومساحة الجامع ثلاثمائة قدم فی مائتین وقد کتب أمام الضفة إنه فی الخامس عشر من شهر محرم سنة ۴۲۵ (۱۱ دیسمبر ۱۰۳۳) زلزلت الأرض بشدة هنا فخربت عمارات کثیرة ولم یصب أحد من السکان بسوء وفی هذه المدینة رخام

كثير وقد زينت معظم السرايات والبيوت بالرخام المنقوش الكثير الزينة ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له وبالرمل المكى ويعملون المنشار على أعمدة الرخام بالطول لا بالعرض فيخرجون منه ألواحا كألواح الخشب ورأيت هناك أنواعا وألوانا من

(٥۴)

مفاتيح البحث: شهر رمضان المبارك (١)، شهر شعبان المعظم (١)، شهر محرم الحرام (١)، السجود (٢)

صفحه ٠٢۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۵

الرخام من الملمع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض ومن كل لون وفى الرملة صنف من التين ليس أحسن منه فى أى مكان يصدر منها إلى جميع البلاد وتسمى مدينة الرملة فى الشام والمغرب فلسطين وفى الثالث من رمضان غادرت الرملة فبلغت قرية تسمى خاتون وقد سرت منها إلى قرية أخرى تسمى قرية العنب وقد رأينا فى الطريق كثيرا من نبات السذاب الذى ينبت بريا على الجبال وفى الصحراء وقد رأيت فى هذه القرية عين ماء عذب تخرج من الصخر وقد بنيت هناك أحواض وعمارات وقد ذهبنا صاعدين وكنا نحسب أنا بعد صعود الجبل سنهبط إلى المدينة فى الطرف الآخر ولكنا وجدنا أمامنا بعد أن صعدنا قليلا سهلا واسعا بعضه صخرى وبعضه كثير التراب وعلى رأس جبل فيه تقع مدينة بيت المقدس ومن طرابلس التى هى على الساحل إليها ستة وخمسون فرسخا ومن بلخ إليها ستة وسبعون وثمانمائة فرسخ وفى الخامس من رمضان سنة ۴٣٨ (١۶ مارس ١٠۴٧) بلغنا بيت المقدس وكان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية وطوال رحلتنا لم نقر فى مكان قط ولا وجدنا راحة كاملة وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس القدس ويذهب إلى القدس فى موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات فيتوجه إلى الموقف ويضحى ضحية العيد كما هى العادة ويحضر هناك لتأدية السنة وفى بعض السنين أكثر من عشرين ألف شخص فى أوائل ذى الحجة ومعهم أبناؤهم كذلك يأتى لزيارة بيت المقدس من ديار الروم كثير من النصارى واليهود وذلك لزيارة الكنيسة والكنيش هناك وهناك كنيسة عظيمة سيأتى وصفها فى مكانه وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء والخيرات بها كثيرة ورخيصة

(۵۵)

مفاتيح البحث: شهر ذى الحجة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، شهر رمضان المبارك (٢)، الشام (٢)، الحج (١)

صفحه ٠٢۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۶

وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من من زيت الزيتون يحفظونها فى الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم ويقال إنه لا يحدث قحط فى بلاد الشام وسمعت من ثقات أن وليا رأى النبى عليه السلام فى المنام فقال له ساعدنا فى معاشنا يا رسول الله فأجابه النبى عليه السلام على خبز الشام وزيته والآن أصف مدينة بيت المقدس وصف بيت المقدس هى مدينة مشيدة على قمة الجبل ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقها ذات عيون والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص وعليها بوابات حديدية وليس بقربها أشجار قط فإنها على رأس صخر وهى مدينة كبير كان بها فى ذلك الوقت عشرون ألف رجل وبها أسواق جميلة وأبنية عالية وكل أرضها مبلطة بالحجارة وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلوها مسطحة بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار وفى المدينة صناع كثيرون لكل جماعة منهم سوق خاصة والجامع شرقى المدينة وسوره هو سورها الشرقى وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى الساهرة يقال أنه سيكون ساحة القيامة والحشر ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به

حتى يموتوا فإذا جاء وعـد الله كانوا بأرض الميعاد اللهم عفوك ورحمتك بعبيـدك ذلك اليوم آمين يا رب العالمين وعلى حافة هذا السهل قرافة عظيمة ومقابر كثير من الصالحين يصلى بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضى الله حاجاتهم اللهم تقبل حاجاتنا واغفر ذنوبنا وسيئاتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين وبين الجامع وسـهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين ورأيت قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت

(۵۶)

مفاتيح البحث: الشام (۲)

صفحه ۰۲۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۷

لم أر عجب منها حتى أن الناظر إليها ليسأل نفسه كيف رفعت فى مكانها ويقول العامـة إنها بيت فرعون واسم هذا الوادى وادى جهنم وقـد سألت عمن أطلق هذا اللقب عليه فقيل أن عمر رضـى الله عنه أنزل جيشه أيام خلافته فى سـهل الساهرة هذا فلما رأى الوادى قال هـذا وادى جهنم ويقول العوام إن من يـذهب إلى نهايته يسـمع صـياح أهل جهنم فإن الصدى يرتفع من هناك وقد ذهبت فلم أسـمع شيئا وحين يسـير السائر من المدينـة جنوبا مسافـة نصف فرسـخ وينزل المنحـدر يجد عين ماء تنبع من الصـخر تسـمى عين سـلوان وقد أقيمت عنـدها عمـارات كثيرة ويمر ماء هـذا العين بقريـة شـيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين ويقال إن من يسـتحم من ماء هذه العين يشـفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة وقد وقفوا عليها مالا كثيرا وفى بيت المقدس مستشـفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصـرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذه المستشـفى ومسـجد الجمعة على حافـة المدينـة من الناحيـة الشـرقية وإحـدى حوائط المسـجد على حافة وادى جهنم وحين ينظر السائر من خارج المسـجد يرى الحائط المطـل على هـذا الوادى يرتفع مائـة ذراع من الحجر الكبير الـذى لاـ يفصـله عن بعضه ملاـط أو جص والحوائط داخل المسـجد ذات ارتفاع مستو وقد بنى المسجد فى هذا المكان لوجود الصخرة به وهى الصخرة التى أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة فلما قضـى هذا الأمر واتخذها موسـى قبلة له لم يعمر كثيرا بل عجلت به المنية حتى إذا كانت أيام سليمان عليه السلام وكانت الصخرة قبلة بنى مسـجدا حولها بحيث أصـبحت فى وسـطه وظلت الصـخرة قبلة حتى عهد نبينا المصـطفى عليه الصلاة والسلام فكان المصلون يولون وجوههم شطرها إلى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة وسيأتى وصف ذلك فى مكانه

(۵۷)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۱)، النبى سليمان عليه السلام (۱)، السجود (۵)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۲۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۸

وقـد أردت أن أقيس هـذا المسـجد ولكنى آثرت أن أتقن معرفـة هيأته ووضـعه أولاـ ثم أقيسه فلبثت فيه زمنا أمعن النظر فرأيت عند الجانب الشـمالى بجوار قبة يعقوب عليه السلام طاقا مكتوبا على حجر منه ان طول هذا المسجد أربع وخمسون وسبعمائة ذراع وعرضه خمس وخمسـون وأربعمائـة ذراع وذلـك بـذراع الملـك المسـمى فى خراسـان كزشايكـان وهو أقـل قليلاـ من ذراع ونصف وأرض المسـجد مغطاة بحجارة موثوقـة إلى بعضـها البعض بالرصاص والمسـجد شـرقى المدينة والسوق فإذا دخله السائر من السوق فإنه يتجه شرقـا فيرى رواقـا عظيمـا جميلا ارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشـرون وللرواق جناحان وواجهتاهما وإيوانه منقوشـة كلها بالفسـيفساء المثبتـة بـالجص على الصورة التى يريـدونها وهى من الدقـة بحيث تبهر النظر ويرى على هـذا الرواق كتابـة منقوشـة بالمينـا وقـد كتب

هناك لقب سلطان مصر فحين تقع الشمس على هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحير الألباب وفوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول وله بابان مزخرفان وواجهتاهما من النحاس الدمشقى الذى يلمع حتى لتظن أنهما طليا بالذهب وقد طعما بالذهب وحليا بالنقوش الكثيرة وطول كل منهما خمس عشرة ذراعا وعرضه ثمان ويسميان باب داود عليه السلام وحين يجتاز السائر هذا الباب يجد على اليمين رواقين كبيرين فى كل منهما تسعة وعشرون عمودا من الرخام تيجانها وقواعدها مزينة بالرخام

(۵۸)

مفاتيح البحث: خراسان (۱)، السجود (۴)

صفحه ۰۲۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۹

الملون ووصلاتها مثبتة بالرصاص وعلى تيجان الأعمدة طيقان حجرية وهى مقامة فوق بعضها بغير ملاط وجص لا يزيد عدد حجارة الطاق منها على أربع أو خمس قطع وهذان الرواقان ممتدان إلى المقصورة ثم يجد على اليسار وهو ناحية الشمال رواقا طويلا به أربعة وستون طاقا كلها على تيجان أعمدة من رخام وعلى هذا الحائط نفسه باب آخر اسمه باب السقر وطول المسجد من الشمال إلى الجنوب وهو ساحة مربعة إذا اقتطعت المقصورة منه والقبلة فى الجنوب وعلى الجانب الشمالى بابان آخران متجاوران عرض كل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنتى عشرة ذراعا ويسميان باب الأسباط فإذا اجتازه السائر وذهب مع عرض المسجد الذى هو جهة المشرق يجد رواقا أخرا عظيما كبيرا به ثلاثة أبواب متجاورة فى حجم باب الأسباط وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس قل ما هو أجمل منها تسمى باب الأبواب لأن للمواضع الأخرى بابين وله ثلاثة وبين هذين الرواقين الواقعين على الجانب الشمالى فى الرواق ذى الطيقان المحملة على أعمدة الرخام قبة رفعت على دعائم عالية وزينت بالقناديل والمسارج تسمى قبة يعقوب عليه السلام لأنه كان يصلى هناك وفى عرض المسجد رواق فى حائطة باب خارجه صومعتان للصوفية وهناك مصليات ومحاريب جميلة يقيم بها جماعة منهم ويصلون ولا يذهبون للجامع الا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون وعند الركن الشمالى للمسجد رواق جميل وقبة جميلة لطيفة مكتوب عليها هذا محراب زكريا النبى عليه السلام ويقال انه كان يصلى هناك دائما وعند الحائط الشرقى وسط الجامع رواق عظيم الزخرف من الحجر المصقول حتى تظن انه نحت من قطعة واحدة ارتفاعه خمسون ذراعا

(۵۹)

مفاتيح البحث: السجود (۴)، التكبير (۱)

صفحه ۰۲۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۰

وعرضه ثلاثون عليه نقوش ونقر وله بابان جميلان لا يفصلهما أكثر من قدم واحدة وعليهما زخارف كثيرة من الحديد والنحاس الدمشقى وقد دق عليهما الحلق والمسامير ويقال ان سليمان بن داود عليه السلام بنى هذا الرواق لأبيه وحين يدخل السائر هذا الرواق متجها ناحية الشرق فالأيمن من هذين البابين هو باب الرحمة والأيسر باب التوبة ويقال ان هذا الباب هو الذى قبل الله تعالى عنده توبة داود عليه السلام وعلى هذا الرواق مسجد جميل كان فى وقت ما دهليزا فصيروه جامعا وزينوه بأنواع السجاد وله خدم مخصصون ويذهب اليه كثير من الناس ويصلون فيه ويدعون الله تبارك وتعالى فإنه فى هذا المكان قبل توبة داود وكل انسان هناك يأمل فى التوبة والرجوع عن المعاصى ويقال ان داود عليه السلام لم يكد يطأ عتبة هذا المسجد حتى بشره الوحى بان الله سبحانه تعالى قد قبل توبته فاتخذ هذا المكان مقاما وانصرف إلى العبادة وقد صليت أنا ناصر فى هذا المقام ودعوت الله تعالى أن يوفقنى لطاعته وأن يغفر

ذنبى الله سبحانه وتعالى يهدى عباده جميعا لما يرضاه ويغفر لهم ذنوبهم بحق محمد وآله الطاهرين وحين يمضى السائر بحذاء الجدار الشرقى إلى أن يبلغ الزاوية الجنوبية عند القبلة التى تقع على الضلع الجنوبى يجد أمام الحائط الشمالى مسجدا بهيئة السرداب ينزل اليه بدرجات كثيرة مساحته عشرون ذراعا فى خمس عشرة وسقفه من الحجر مرفوع على أعمدة الرخام وبهذا السرداب مهد عيسى عليه السلام وهو من الحجر حجمه كبير بحيث يصلى عليه الناس وقد صليت هناك وقد أحكم وضعه فى الأرض حتى لا يتحرك وهو المهد الذى أمضى فيه عيسى طفولته وكلم الناس منه وهو فى المسجد مكان المحراب وفى الجانب الشرقى من هذا المسجد محراب مريم عليها السلام وبه محراب آخر

(۶۰)

مفاتيح البحث: النبى عيسى بن مريم عليهما السلام (۱)، سليمان بن داود (۱)، الحلق (۱)، السجود (۴)

صفحه ۰۳۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۱

لزكريا عليه السلام وعلى هذين المحرابين آيات القرآن التى نزلت فى حق زكريا ومريم ويقال ان عيسى عليه السلام ولد بهذا المسجد وعلى حجر من عمده نقش إصبعين كأن شخصا أمسكه ويقال ان مريم أمسكته باصبعيها وهى تلد ويعرف هذا المسجد بمهد عيسى عليه السلام وبه قناديل كثيرة من النحاس والفضة توقد كل مساء حين يخرج السائر من هذا المسجد متبعا الحائط الشرقى يجد عندما يبلغ زاوية المسجد الكبير مسجدا آخر عظيما جدا أكبر مرتين من مسجد مهد عيسى يسمى المسجد الأقصى وهو الذى أسرى الله عز وجل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من مكة اليه ومنه صعد إلى السماء كما جاء فى القرآن * (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) * وقد بنوا به أبنية غاية فى الزخرف وفرش بالسجاد الفاخر ويقوم عليه خدم مخصصون يعملون به دواما وحين يعود السائر إلى الحائط الجنوبى على مائتى ذراع من تلك الزاوية لا يجد سقفا وهناك ساحة المسجد وأما الجزء المسقوف من المسجد الكبير والذى به المقصورة فيقع عند الحائطين الجنوبى والغربى وطول هذا الجزء عشرون وأربعمائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع وبه ثمانون ومائتا عمود من الرخام على تيجانها طيقان من الحجارة وقد نقشت تيجان الأعمدة وهياكلها وثبتت الوصلات فيها بالرصاص فى منتهى الإحكام وبين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص والمقصورة فى وسط الحائط الجنوبى وهى كبيرة جدا تتسع لستة عشر عمودا وعليها

(۶۱)

مفاتيح البحث: النبى عيسى بن مريم عليهما السلام (۲)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، المسجد الأقصى (۲)، مدينة مكة المكرمة (۱)، مسجد الحرام (۱)، القرآن الكريم (۲)، التمسّك (۱)، السجود (۷)

صفحه ۰۳۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۲

قبة عظيمة جدا منقوشة بالميناء على نسق ما وصفت وهى مفروشة بالحصير المغربى وبها قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل ومتباعد بعضها عن بعض وبها محراب كبير منقوش بالميناء وعلى جانبيه عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر وإزار المقصورة كله من الرخام الملون وعلى يمينه محراب معاوية وعلى يساره محراب عمر رضى الله عنه وسقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف وعلى باب المقصورة وحائطها المطلان على الساحة خمسة عشر رواقا عليها أبواب مزخرفة ارتفاع كل منها عشرة أذرع وعرضه ست عشرة من هذه الأبواب تفتح على الجدار الذى طوله عشرون وأربعمائة ذراع وخمسة منها على الجدار الذى طوله

خمسون ومائة ذراع وقد زين باب منها غاية الزينة وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب وقد نقش بالفضة وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ويقال انه هو الـذى أرسله من بغداد وحين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن أنه ساحة مكشوفة أما حين تعصف الريح وتمطر السماء وتغلق الأبواب فان النور ينبعث للمسجد من الكوات وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق يجلس بجانبها المجاورون كما هو الحال فى المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى وخارج هذا الحرم عند الحائط الكبير الـذى مر ذكره رواق به اثنـان وأربعون طاقا وكـل أعمـدته من الرخام الملون وهـذا الرواق متصل بالرواق المغربى وتحت الأرض فى الحرم المسقوف حوض جعل بحيث يكون فى مستوى

(۶۲)

مفاتيح البحث: دولـة العراق (۱)، مدينـة مكـة المكرمة (۱)، مدينـة بغداد (۱)، مسـجد الحرام (۱)، الشـام (۱)، البعث، الإنبعـاث (۱)، السجود (۳)

صفحه ۰۳۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۳

الأرض حين يغطى وقـد بنى لتجمع فيه ميـاه المطر وعلى الحائـط الجنوبى بـاب يؤدى إلى ميضأة يـذهب إليها من يحتاج إلى الوضوء فيجدده وذلك لأنه لا يلحق الصـلاة إذا هو خرج من المسـجد ليتوضأ إذ ان أكبر المسجد يفوت عليه الصلاة إذا اجتازه وكل الأسقف ملبسة بالرصاص وقد حفرت فى ارض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة فان المسجد مشيد كله على صخرة فمهما يهطل من المطر لا يذهب خارج الأحواض ولا يضيع سدى بل ينصـرف إلى الأحواض وينتفع به الناس وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجريـة تحتها وقـد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب فى الصـهاريج بواسـطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن وقد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صـهريجا كبيرا تنحدر اليه المياه من الجبل وتتجمع فيه وقد أوصلوه بقناة إلى مسجد المدينة حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة وفى المنازل كلها أحواض لجمع ماء المطر إذ لا يوجد غيره هناك ويجمع كل انسان ما على سطح بيته من مياه فان ماء المطر هو الذى يسـتعمل فى الحمامات وغيرها والأحواض التى بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبدا لأنها من الحجر الصـلب فإذا حـدث بها شق أو ثقب أحكم إصـلاحه حتى لا تتخرب ويقال ان سـليمان عليه السـلام هو الذى عمل هذه الأحواض وقد جعـل القسم الأـعلى منهـا على هيئـة التنور وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسـقط فيه شـىء وماء هـذه المدينـة أعـذب وأنقى من أى مـاء آخر وتسـتمر الميـازيب فى قطر المياه يومين أو ثلاثـة ولو كان المطر قليلا إلى أن يصـفو الجو وتزول آثاره السـيئة وحينئذ يبدأ المطر قلت إن مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل وان أرضـها غير مسـتوية أما المسجد فأرضه مستوية فخارج المسجد حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه إذ يكون أساسه فى أرض واطئة وحيثما تكون الأرض مرتفعة

(۶۳)

مفاتيح البحث: النبى سليمان عليه السلام (۱)، السجود (۸)، الصّلاة (۲)، الوضوء (۱)

صفحه ۰۳۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۴

يقصـر الجدار وفى الجهات الواطئة من أحياء المدينة فتحوا فى المسـجد أبوابا كأنها نقب تؤدى لساحته ومن هذه الأبواب باب يسـمى بـاب النبى عليه الصـلاة والسـلام وهو بجـانب القبلـة اى فى الجنوب وقـد عمـل بحيث يكون عرضه عشـرة أذرع وأما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان فهو فى مكان خمس أذرع اى علو سـقف هذا الممر وفى مكان آخر عشـرون والجزء المسـقوف من المسـجد الأقصـى

مشيد فوق هذا الممر وهو محكم بحيث يحتمل أن يقام فوقه بناء بهذه العظمة من غير أن يؤثر فيه قط وقد استخدمت فى بنائه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها ويقال إن سليمان بن داود عليه السلام هو الذى بناه وقد دخل فيه نبينا عليه الصلوات والسلام إلى المسجد ليلة المعراج وهذا الباب على جانب طريق مكة وعلى الحائط بقرب هذا الباب نقش دقيق لمجن كبير يقال إن حمزة بن عبد المطلب عم النبى عليه السلام كان جالسا هناك وعلى كتفه المجن وظهره مسند إلى الحائط وأن هذا نقش مجنه وعند بوابة المسجد حديث هذا الممر الذى عليه باب ذو مصراعين يبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما يقرب من خمسين ذراعا وقد قصد بهذا الباب أن يدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد فلا يلجأون إلى الذهاب لمحلة أخرى حين يريدون دخوله وعلى الحائط الذى يقع يمين الباب حجر ارتفاعه خمس عشرة ذراعا وعرضه أربع أذرع فليس فى المسجد حجر أكبر منه وفى الحائط على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ذراعا من الأرض كثير من الحجارة التى تبلغ حجمها أربع أذرع أو خمس وفى عرض المسجد باب شرقى يسمى باب العين إذا خرجوا منه نزلوا منحدرا فيه عين سلوان وهناك أيضا باب تحت الأرض يسمى الحطة يقال إنه هو الباب الذى أمر الله عز وجل بنى إسرائيل ان يدخلوا منه إلى المسجد قوله تعالى * (وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) *

(۶۴)

مفاتيح البحث: حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء عليه السلام (۱)، المسجد الأقصى (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، سليمان بن داود (۱)، السجود (۷)، الصّلاة (۲)

صفحه ۰۳۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۵

وهناك باب آخر يسمونه باب السكينة فى دهليزه مسجد به محاريب كثيرة باب أولها مغلق حتى لا يلجه أحد ويقال ان هناك تابوت السكينة الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى القرآن والذى حمله الملائكة وأبواب بيت المقدس ما تحت الأرض وما فوقها تسعة أبواب كما ذكرت وصف الدكة التى بوسط ساحة المسجد والصخرة التى كانت قبلة الإسلام أقيمت هذه الدكة فى وسط المساحة لأنه لم يتيسر نقل الصخرة إلى الجزء المسقوف من المسجد لعلوها وهى تظل مساحة من الأرض مقدارها ثلاثون وثلاثمائة ذراع فى ثلاثمائة وارتفاعها اثنتى عشرة ذراعا وصحنها مستو ومزخرف بالرخام الملبس بوصلات الرصاص وعلى جوانبها الأربعة ألواح الرخام كما يعمل فى المقابر وهى مبينة بحيث لا يستطيع أحد الصعود عليها من غير المراقى المخصصة لهذا الأمر ويشرف من يصعد عليها على سقف الجامع وقد حفر فى أرضها فى الوسط حوض يصب فيه مياه المطر بواسطة قنوات أعدت لذلك وماء هذا الحوض أنقى وأعذب من كل ماء فى الجامع وعلى هذه الدكة أربع قباب أكبرها قبة الصخرة التى كانت القبلة وصف قبة الصخرة بنى المسجد بحيث تكون الدكة فى وسط الساحة وقبة الصخرة فى وسط الدكة والصخرة وسط القبة وقبة الصخرة بيت مثمن منظم كل ضلع من

(۶۵)

مفاتيح البحث: القرآن الكريم (۱)، السجود (۴)

صفحه ۰۳۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۶

أضلاعه الثمانية ثلاث وثلاثون ذراعا وله أربعة أبواب على الجهات الأربع الأصلية باب شرقى وآخر غربى وثالث شمالى ورابع جنوبى وبين كل بابين ضلع وجميع الحوائط من الحجر المنحوت وارتفاعها عشرون ذراعا ومحيط الصخرة مائة ذراع وهى غير منتظمة الشكل

لا هى مدورة ولا مربعة ولكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل وقد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربعة دعائم مربعة بارتفاع حائط البيت المذكور وبين كل دعامتين على الجوانب الأربعة عمودان اسطوانيان من الرخام بنفس الارتفاع وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة الاثنى عشر بنوا القبة التى تحتها الصخرة والتى يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعا وبين حائط هذا البناء والدعائم والأعمدة أسمى المربعة المبنية ستون دعامة والمنحوتة المستديرة التى من حجر واحد أسطوانة عمودا ثمان دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة وبين كل اثنتين منهما ثلاثة أعمدة من الرخام الملون على أبعاد متساوية بحيث يكون فى الصف الأول عمودان بين كل دعامتين ويكون هنا ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين وعلى تاج كل دعامة أربعة عقود على كل عقد طاق وعلى كل عمود عقدان فوق كل منها طاق وهكذا يكون على العمود متكأ لطاقين وعلى الدعامة متكأ لأربعة فكانت هذه القبة العظيمة فى ذلك الوقت مرتكزة على هذه الدعامات الاثنتى عشرة المحيطة بالصخرة فتراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل لأنها من أساسها إلى قمتها ثلاثون ذراعا وهى تستند إلى أعمدة ودعامات ارتفاعها عشرون ذراعا وقبة الصخرة مشيدة على بيت ارتفاعه اثنتا عشرة ذراعا وإذا فمن ساحة المسجد إلى رأس القبة اثنتان وستون ذراعا وسقوف هذه الدكة وقبابها مكسوة بالنجارة وكذلك الدعائم والعمد

(۶۶)

مفاتيح البحث: السجود (۱)

صفحه ۰۳۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۷

والحوائط وذلك بدقة قل نظيرها والصخرة أعلى من الأرض بمقدار قامة رجل وقد أحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد أليها والصخرة حجر أزرق لونه لم يطأها أحد برجله أبدا وفى ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض كأن أنسانا سار عليها فبدت آثار قدمه فيها كما تبدو على الطين الطرى فان آثار أصابع قدميه باقية عليها وقد بقيت عليها آثار سبع أقدام وسمعت أن إبراهيم عليه السلام كان هناك وكان إسماعيل طفلا فمشى عليها وهذه هى آثار قدمه ويقيم فى بيت الصخرة هذا جماعة من المجاورين والعابدين وقد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير وغيره وفى وسطه قنديل من الفضة معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة وهناك قناديل كثيرة من فضة كتب عليها وزنها أمر بصنعها سلطان مصر وقد قدرت ما هناك من الفضة بألف من ورأيت هناك أيضا شمعة كبيرة جدا طولها سبع أذرع وقطرها ثلاثة أشبار لونها كالكافور الزباجى وشمعها مخلوط بالعنبر ويقال ان سلطان مصر يرسل هناك كل سنة كثيرا من الشمع منه هذه الشمعة الكبيرة ويكتب عليها اسمه بالذهب وهذا المسجد هو ثالث بيوت الله سبحانه وتعالى والمعروف عند علماء الدين ان كل صلاة فى بيت المقدس تساوى خمسة وعشرين ألف صلاة وكل صلاة فى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام تعد بخمسين ألف صلاة وان صلاة مكة المعظمة شرفها الله تعالى تساوى مائة ألف صلاة وفق الله عز وجل عباده جميعا لهذا الثواب وقد قلت إن أسقف وظهور القباب ملبسة بالرصاص وعلى جوانب البيت الأربعة أبواب كبيرة مصاريعها من خشب الساج وهى مقفلة دائما وبعد قبة الصخرة قبة تسمى قبة السلسلة وهى السلسلة التى علقها داود عليه السلام والتى لا- تصل إليها إلا يد صاحب الحق أما يد الظالم والغاصب فلا تبلغها وهذا المعنى مشهور عند العلماء وهذه القبة محمولة على رأس ثمانية أعمدة من الرخام وست دعائم من الحجر وهى مفتوحة من جميع الجوانب عدا جانب

(۶۷)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، الظلم (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۷)

صفحه ۰۳۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۸

القبلة فهو مسدود حتى نهايته وقد نصب عليه محراب جميل وعلى هذه الدكة أيضا قبة أخرى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام وهى مغلقة من ناحية القبلة أيضا حيث بنى محراب جميل وتسمى هذه القبة قبة جبريل عليه السلام وليس فيها فرش بل إن أرضها من حجر سووه ويقال ان هناك أعد البراق ليركبه النبى عليه السلام ليلة المعراج وبعد قبة جبريل قبة أخرى يقال لها قبة الرسول عليه الصلاة والسلام وبينهما عشرون ذراعا وهى مقامة على أربع دعائم من الرخام أيضا ويقال ان الرسول عليه الصلاة والسلام صلى ليلة المعراج فى قبة الصخرة أولا ثم وضع يده على الصخرة فلما خرج وقفت لجلاله فوضع الرسول عليه الصلاة السلام يده عليها لتعود إلى مكانها وتستقر وهى بعد نصف معلقة وقد ذهب الرسول عليه السلام من هناك إلى القبة التى تنتسب إليه وركب البراق وهذا سبب تعظيمها وتحت الصخرة غار كبير يضاء دائما بالشمع ويقال انه حين قامت الصخرة خلا ما تحتها فلما استقرت بقى هذا الجزء كما كان وصف المراقى المؤدية إلى الدكة التى بساحة الجامع يسار إلى هذه الدكة من ستة مواضع لكل منها اسم فبجانب القبلة طريقان يصعد فيهما على درجات فإذا وقفت فى وسط ضلع الدكة وجدت أحدهما على اليمين والثانى على اليسار والذى على اليمين يسمى مقام النبى عليه السلام والذى على اليسار يسمى مقام الغورى وسمى الأول مقام النبى لأن النبى عليه الصلاة والسلام صعد على درجاته إلى الدكة ليلة المعراج ودخل إلى قبة الصخرة ويقع طريق الحجاز على هذا الجانب وعرض درجاته اليوم عشرون ذراعا وهى من الحجر المنحوت المنتظم وكل درجة قطعة أو

(۶۸)

مفاتيح البحث: الصّلاة (۴)

صفحه ۰۳۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۹

قطعتان من الحجر المربع وهى معدة بحيث يستطيع الزائر الصعود عليها راكبا وعلى قمة هذه الدرجات أربعة أعمدة من الرخام الأخضر الذى يشبه الزمرد لولا ـ أن به نقطا كثيرة من كل لون ويبلغ ارتفاع كل عمود منها عشرة اذرع وقطره بقدر ما يحتضن رجلان وعلى رأس هذه الأعمدة الأربعة ثلاثة طيقان أحدها مقابل للباب والآخران على جانبيه وسطح الطيقان أفقى من فوقه شرفات بحيث يبدو مربعا وهذه العمد والطيقان منقوشة كلها بالذهب وبالمينا ليس أجمل منها ودرابزين الدكة كله من الرخام الأخضر المنقط حتى لتقول ان عليه روضة ورد ناضر وقد أعد مقام الغورى بحيث تكون ثلاثة سلالم على موضع واحد أحدها محاذ للدكة والآخران على جانبيها حتى يستطاع الصعود من ثلاثة أماكن ومن فوق هذه السلالم الثلاثة أعمدة عليها طريقان وشرفة والدرجات بالوصف الذى ذكرت من الحجر المنحوت كل درجة قطعتان أو ثلاث من الحجر المستطيل وكتب بخط جميل بالذهب على ظاهر الإيوان أمر به الأمير ليث الدولة نوشتكين الغورى ويقال انه كان تابعا لسلطان مصر وهو الذى أنشأ هذه الطرق والمراقى وعلى الجانب الغربى للدكة سلمان فى ناحيتين منها وهناك طريق عظيم مشابه لما ذكرت وكذلك فى الجانب الشرقى طريق عظيم مماثل عليه أعمدة فوقها طيقان وشرفة يسمى المقام الشرقى وعلى الجانب الشمالى طريق أكثر علوا وأكبر منها كلها به أعمدة فوقها طيقان يسمى المقام الشامى وأظن أنهم صرفوا على هذه الطرق الستة مائة ألف دينار

(۶۹)

صفحه ۰۳۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۰

وفى الجانب الشمالى لساحة المسجد لا على الدكة بناء به كأنه مسجد صغير يشبه الحظيرة وهو من الحجر المنحوت يزيد ارتفاع حوائطه على قامة رجل ويسمى محراب داود وبالقرب منه حجر غير مستو يبلغ قامة رجل وقمته تتيح وضع حصيرة صلاة صغيرة عليها ويقال انه كرسى سليمان عليه السلام الذى كان يجلس عليه أثناء بنا المسجد هذا ما رأيت فى جامع بيت المقدس قد صورته وضممته إلى مذكراتى ومن النوادر التى رأيتها فى بيت المقدس شجرة الحور بعد الفراغ من زيارة بيت المقدس عزمت على زيارة مشهد إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام فى يوم الأربعاء غرة ذى القعدة سنة ۴۳۸ (۲۰ ابريل سنة ۱۰۴۷) والمسافة بينهما ستة فراسخ عن طريق جنوبى به قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر برى لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسماق وعلى فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفراديس لجمال موقعها وعلى فرسخ واحد من بيت المقدس مكان للنصارى يعظمونه كثيرا يقيم بجانبه مجاورون دائما ويحج اليه كثيرون اسمه بيت اللحم وهناك يقدم النصارى القرابين ويقصده الحجاج من بلاد الروم وقد بلغته مساء اليوم الذى قمت فيه من بيت المقدس وصف قبر الخليل صلوات الله عليه يسمى أهل الشام وبيت المقدس هذا المشهد الخليل ولا يذكرون

(۷۰)

مفاتيح البحث: النبى سليمان عليه السلام (۱)، شهر ذى القعدة (۱)، الشام (۱)، الشهادة (۲)، القبر (۱)، الصّلاة (۳)، السجود (۲)، الزيارة (۲)، الحج (۱)

صفحه ۰۴۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۱

اسم القرية التى هو فيها قرية مطلون وهى موقوفة عليه مع قرى كثيرة وفى هذه القرية عين ماء تخرج من الصخر يتفجر ماؤها رويدا رويدا وهو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة إلى خارج القرية حيث بنى حوض مغطى يصب فيه الماء فلا يذهب هباء حتى يفى بحاجة أهل القرية وغيرهم من الزائرين والمشهد على حافة القرية من ناحية الجنوب وهى فى الجنوب الشرقى والمشهد يتكون من بناء ذى أربع حوائط من الحجر المصقول طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون وارتفاعه عشرون وثخانة حوائطه ذراعان وبه مقصورة ومحراب فى عرض البناء وبالمقصورة محاريب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة وكلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل الأيمن قبر إسحاق بن إبراهيم والآخر قبر زوجه عليها السلام وبينهما عشرة أذرع وأرض هذا المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التى تفوق الديباج حسنا وقد رأيت هناك حصير صلاة قيل أرسلها أمير الجيوش وهو تابع لسلطان مصر وقد اشتريت من مصر بثلاثين دينارا من الذهب المغربى ولو كانت من الديباج الرومى لما بلغت هذا الثمن ولم ار مثلها فى مكان قط

(۷۱)

مفاتيح البحث: إسحاق بن إبراهيم (۱)، القبر (۲)، الشهادة (۲)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۴۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۲

حين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط ساحة المشهد يجد مشهدين أمام القبلة الأيمن به قبر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وهو مشهد كبير ومن داخله مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله ولكن له أربع نوافذ يرى منها فيراه الزائرون وهو يطوفون حول المشهد الكبير وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج والقبر من الحجر ارتفاعه ثلاث أذرع وعلق به كثير من القناديل والمصابيح الفضية والمشهد الثانى الذى على يسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهيم عليه السلام وبين القبرين ممر عليه باباهما وهو كالدهليز وبه

کثیر من القنادیل والمسارج وبعد هذین المشهدین قبران متجاوران الأیمن قبر النبی یعقوب علیه السلام والأیسر قبر زوجه وبعدهما المنازل التی اتخذها إبراهیم للضیافة وبها ستة قبور وخارج الجدران الأربعة منحدر به قبر یوسف بن یعقوب علیه السلام وهو من حجر وعلیه قبة جمیلة وعلى جانب الصحراء بین قبر یوسف

(۷۲)

مفاتیح البحث: النبی إبراهیم (ع) (۲)، یوسف بن یعقوب (۱)، الشهادة (۵)، القبر (۶)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۴۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۳

ومشهد الخلیل علیهما السلام قرافة کبیرة یدفن بها الموتى من جهات عدیدة وعلى سطح المقصورة التی فی المشهد حجرات للضیوف الوافدین وقد وقف علیها أوقاف کثیرة من القرى ومستغلات بیت المقدس وأغلب الزراعة هناک الشعیر والقمح قلیل والزیتون کثیر ویعطون الضیوف والمسافرین والزائرین الخبز والزیتون وهناک طواحین کثیرة تدیرها البغال والثیران لطحن الدقیق وبالمضیفة خادمات یخبزن طول الیوم ویزن رغیفهم منا واحدا ویعطى من یصل هناک رغیفا مستدیرا وطبقا من العدس المطبوخ بالزیت وزبیبا کل یوم وهذه عادة بقیت من أیام خلیل الرحمن علیه السلام حتى الساعة وفی بعض الأیام یبلغ عدد المسافرین خمسمائة فتهیأ الضیافة لهم جمیعا ویقال انه لم یکن لهذا المشهد باب وکان دخوله مستحیلا بل کان الناس یزورونه من الإیوان فی الخارج فلما جلس المهدی على عرش مصر

(۷۳)

مفاتیح البحث: الموت (۱)، الشهادة (۳)، الدفن (۱)

صفحه ۴۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۴

أمر بفتح باب فیه وزینه وفرشه بالسجاجید وأدخل على عمارته اصلاحا کثیرا وباب المشهد وسط الحائط الشمالی على ارتفاع أربع أذرع فوق الأرض وعلى جانبیه درجات من الحجر فیصعد الیه من جانب ویکون النزول من الجانب الثانی ووضع هناک باب صغیر من الحدید ثم رجعت إلى بیت المقدس ومن هناک سرت ماشیا مع جماعة تقصد الحجاز وکان دلیلنا رجلا اسمه أبو بکر الهمدانی وهو رجل جلد یقدر على المشی وجهه جمیل غادرت بیت المقدس فی منتصف ذی القعدة سنة ۴۳۷ (أول مایو ۱۰۴۷) وبعد ثلاثة أیام بلغت جهة تسمى أعز القرى بها ماء جار وأشجار ثم بلغنا منزلا آخر یسمى وادی القرى ومن بعده نزلنا مکانا ثالثا ثم بلغنا مکة بعد عشرة أیام لم تحضر لمکة قافلة من ای بلد فی هذه السنة وشح الطعام وقد نزلت فی سکة العطارین أمام باب النبی علیه السلام وفی یوم الاثنین طلعت عرفات وکان الناس مملوئین رعبا من العرب ولما عدت من عرفات لبثت بمکة یومین ثم رجعت إلى بیت المقدس عن طریق الشام وبلغنا المقدس فی الخامس من المحرم سنة ۳۳۹ (۷ یولیو ۱۰۳۷) ولا أذکر هنا وصف مکة والحج سأذکر ذلک عند الکلام على الحجة الأخیرة کنیسة بیعة القیامة وللنصارى فی بیت المقدس کنیسة یسمونها بیعة القمامة لها عندهم مکانة عظیمة ویحج إلیها کل سنة کثیر من بلاد الروم ویزورها ملک الروم متخفیا حتى لا یعرفه الناس وقد زارها أیام عزیز مصر الحاکم بأمر الله

(۷۴)

مفاتيح البحث: شهر ذى القعدة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۴)، الشام (۱)، العزّة (۱)، الطعام (۱)، الحج (۲)، الشهادة (۱)

صفحه ۴۴۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۵

فبلغ ذلك الحاكم فأرسل اليه أحـد حراسه بعـد أن عرفه أن رجلا بهذه الحلية والصورة يجلس فى كنيسة بيت المقدس وقال له اذهب عنـده وقـل له ان الحـاكم أرسـلنى إليـك ويقول لاـ تحسبنى أجهل أمرك ولكن كن آمنا فلن أقصـدك بسوء وقـد أمر الحاكم هـذا بالإغارة على الكنيسة فهدمها وخربها وظلت خربة مدة من الزمان وبعد ذلك بعث القيصـر اليه رسلا وقدم كثيرا من الهدايا والخدمات وطلب الصلح والشـفاعة ليؤذن له بإصـلاح الكنيسـة فقبل الحاكم وأعيـد تعميرها وهـذه الكنيسة فسيحة تسع ثمانية آلاف رجل وهى عظيمـة الزخرف من الرخام الملون والنقوش والصور وهى مزدانـة من الـداخل بالديباج الرومى والصور وزينت بطلاء من الذهب وفى أماكن كثيرة منها صورة عيسـى عليه السـلام راكبا حمارا وصور الأنبياء الآخرين مثل إبراهيم وإسـحق ويعقوب وأبنائهم عليهم السـلام وهـذه الصور مطليـة بزيت السـندروس وقـد غطى سـطح كل صورة بلوح من الزجاج الشـفاف على قـدها بحيث لا يحجب منها شـىء وذلك حتى لا يصل الغبار إليها وينظف الخـدم هـذا الزجاج كل يوم وهناك عـدا ذلك عـدة مواضع أخرى كلها مزينـة ولو وصـفتها لطالت كتابتى وفى هذه الكنيسة لوحة مقسـمة إلى قسـمين وعملا لوصف الجنة والنار فنصف يصف الجنة وأهلها ونصف يصف النار وأهلها ومن

(۷۵)

مفاتيح البحث: النبى عيسى بن مريم عليهما السلام (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، يوم عرفة (۱)

صفحه ۴۵۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۶

يبقى فيهـا وليس لهـذه الكنيسـة نظير فى اى جهـة من العـالم ويقيم بهـا كثير من القس والرهبـان يقرأون الإنجيل ويصـلون ويشـتغلون بالعبـادة ليـل نهار وصف مصـر ثم عزمت لى ان أغادر بيت المقـدس إلى مصـر بطريق البحر ثم أغادرها إلى مكـة ولكن كانت الريح معاكسة وتعذر السفر بالبحر فسرنا عن طريق البر ومررنا بالرملة ثم بلغنا مدينة عسقلان بها سوق وجامع جميل رأيت بها طاقا قديما قيل إنه كـان مسـجدا وهو طـاق من الحجر الكبير ولو أرادوا هـدمه للزمهم إنفـاق مـال كثير وخرجت من هناك فوجـدت فى الطريق قرى كثيرة ومـدنا يطول وصـفها فحـذفته اختصارا وبلغنا مكانا يسـمى طينـة وهو مرفأ للسـفن يذهب منه إلى تنيس وقد ركبت السـفينة إليها تنيس جزيرة ومدينـة جميلة وهى بعيدة عن الساحل بحيث لا يرى من أسـطحها والمدينة مزدحمة وبها أسواق فخمة وجامعان وقد يبلغ عدد الدكاكين بها عشـرة آلاف دكان منها مائة دكان عطار وهناك فى فصل الصيف يبيعون الكشكاب فان الجو حار وتكثر الأمراض فى المدينة

(۷۶)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۴۶۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۷

وينسـج بتنيس القصب الملون من عمامات ووقايات ومما يلبس النساء ولا ينسـج مثل هـذا القصب فى جهـة ما غير تنيس والأبيض منه

ينسج فى دمياط وما ينسج منه فى مصانع السلطان لا يباع ولا يعطى لأحد وقد سمعت ان ملك فارس أرسل رسله إلى تنيس بعشرين ألف دينار ليشترى له بها حلة من كسوة السلطان وقد بقى رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها وبتنيس صناع مختصون بنسيج ملابس السلطان وقد سمعت أن عاملا نسج عمامة السلطان فأمر به بخمسمائة دينار ذهب مغربى وقد رأيت هذه العمامة ويقال انها تساوى أربعة آلاف دينار مغربى وينسجون فى مدينة تنيس هذه البوقلمون الذى لا ينسج فى مكان آخر من جميع العالم وهو قماش ذهبى يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب وسمعت ان سلطان الروم كان قد أوفد رسولا ليعرض على سلطان مصر أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذ تنيس فلم يقبل السلطان وكان قصده من هذه المدينة القصب والبوقلمون (۷۷)

مفاتيح البحث: اللبس (۱)

صفحه ۰۴۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۸

حينما يزيد ماء النيل يبعد الماء الملح من حول تنيس بحيث يصبح ماء البحر عذبا حتى عشرة فراسخ حولها وقد بنوا بجزيرة تنيس ومدينتها صهاريج عظيمة تحت الأرض وهى قوية البنيان وتسمى المصانع فحين يغلب ماء النيل ويطرد الماء الملح من هناك تملأ هذه الأحواض حين يفتحون له الطريق وماء هذه المدينة من تلك المصانع التى تمتلئ وقت زيادة النيل ويستعمل السكان هذا الماء حتى السنة التالية وكل من لديه ماء فوق حاجته يبيع الفائض لغيره وبتنيس مصانع كثيرة موقوفة يعطى ماؤها للغرباء وسكانها خمسون ألفا (۷۸)

مفاتيح البحث: البيع (۱)

صفحه ۰۴۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۹

ويرابط حولها دائما ألف سفينة منها ما هو للتجار وكثير منها للسلطان ويجلب لهذه الجزيرة كل ما تحتاج اليه إذ ليس بها من خيرات الأرض شيء وتجرى المعاملات فيها بالسفن لأنها جزيرة ويقيم بتنيس جيش كامل السلاح احتياطا حتى لا يستطيع أحد من الفرنج أو الروم أن يغير عليها وسمعت من الثقات أنه يصل منها لخزانة سلطان مصر يوميا ألف دينار مغربى ويصل ذلك المقدار مرة واحدة يحصله شخص واحد يسلمه أهل المدينة اليه فى وقت معين وهو يسلم للخزانة فلا يتأخر منه شيء ولا يجبى شيء بالعنف من اى شخص وما ينسج للسلطان من القصب والبوقلمون يدفع ثمنه كاملا بحيث يعمل الصناع برضاهم للسلطان لا كما فى البلاد الأخرى حيث يفرض الديوان والسلطان السخرة على الصناع وتصنع أستار هوداج الجمال ولبود سروج الخيل الخاصة بالسلطان من البوقلمون (۷۹)

مفاتيح البحث: كتاب الثقات لابن حبان (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۰۴۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۰

ويؤتى بالفاكهة والأغذية لتنيس من قرى مصر ويصنعون بها آلات الحديد كالمقراض والسكين وغيرهما وقد رأيت مقراضا فى مصر صنع فى تنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح إذا رفع مسماره ويقص إذا انزل وتصيب النساء هناك أحيانا علة كالصرع فيصحن مرتين

أو ثلاثا ثم يعدن بعد ذلك إلى صوابهن وكنت سمعت فى خراسان عن جزيرة تموء فيها النساء كالقطط وذلك على النحو الذى ذكرت وتذهب السفينة من تنيس إلى القسطنطينية فى عشرين يوما وقد سرنا بجانب مصر وحين بلغنا شاطئ البحر سارت السفينة فى النيل حين يقترب نهر النيل من البحر يصير فروعا تصب متفرقة فيه ويسمى الفرع الذى سرنا فيه فرع الروم سارت السفينة حتى بلغنا مدينة تسمى الصالحية وهى مدينة كثيرة النعم والخيرات وتصنع بها سفن كثيرة حمولة كل منهما مائتا خروار وهى تنقل البضاعة إلى مدينة مصر حتى أبواب دكاكين البقالين ولو لم تكن وسائل النقل كذلك لتعذر نقل المؤن فيها على ظهور الدواب لكثرة الزحام الذى بها وقد نزلت من السفينة إلى الصالحية ثم بلغت قرب القاهرة تلك الليلة وفى يوم الأحد السابع من صفر سنة ۴۳۹ (۴ أغسطس ۱۰۴۷) وهو يوم هرمزد من شهر يور القديم كنا فى القاهرة وصف مصر وولايتها يخرج ماء النيل من بين الجنوب والغرب ويمر بمصر ثم يصب فى بحر الروم ويبلغ نهر النيل فى زيادته ضعف نهر جيحون عند ترمذ ويمر النيل بولاية النوبة ثم يجىء إلى مصر والنوبة ولاية جبلية وحين يصل النيل إلى الوادى فهناك ولاية مصر وأول مدينة يصل إليها على الحدود تسمى أسوان

(۸۰)

مفاتيح البحث: خراسان (۱)، السفينة (۴)

صفحه ۰۵۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۱

والمسافة من مصر إليها ثلاثمائة فرسخ وتقع المدن والولايات كلها على شاطئ النيل وتسمى هذه الولاية أسوان بالصعيد الأعلى ولا تستطيع السفن عبور النيل حين تصل لأسوان لأن الماء يخرج هناك من شلالات فيندفع سريعا وولاية النوبة جنوبى أسوان ولها ملك خاص وسكانها سود البشرة ودينهم النصرانية ويذهب اليه التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق والرقيق فى مصر إما نوبيون وإما روم وقد رأيت قمحا وذرة من النوبة كلاهما أسود ويقال ان حقيقة منابع النيل لم تعرف وسمعت ان سلطان مصر ارسل بعثة لتتبع شاطئ النيل سنة كاملة ودرسه ولكن أحدا لم يعرف حقيقة منبعه ويقال انه يأتى من جبل فى الجنوب يسمى جبل القمر حين تبلغ الشمس مدار السرطان يزداد النيل فيرتفع عشرين ذراعا عما كان مستقرا عليه فى الشتاء وهكذا يتزايد يوما بعد يوم وقد أعدوا له فى مصر مقاييس وعلامات ورتبوا عاملا وظيفته ألف دينار للمحافظة عليها ولتسجيل الزيادة ومنذ أول يوم للفيضان يطوف منادون فى المدينة منادين بأن الله تعالى قد زاد النيل كذا أصبعا ويذكرون مقدار زيادته كل يوم وحين تبلغ الزيادة ذراعا كاملا تضرب البشائر ويفرح الناس حتى تبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وهى الزيادة المعهودة يعنى أنه كلما قلت الزيادة عن ذلك قيل إن النيل ناقص فتصدقوا ونذروا النذور وعلاهم الغم فإذا زاد عن هذا القدر فرحوا وأظهروا الغبطة وما لم يصل الارتفاع إلى ثمانية

(۸۱)

مفاتيح البحث: الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)

صفحه ۰۵۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۲

عشر ذراعا لا يأخذ السلطان الخراج ويتفرع من النيل فروع كثيرة تسير فى الأطراف كما يتفرغ منها ترع صغيرة وعليها تقع الولايات والقرى وأقيمت بمصر سواق كثيرة يصعب حصرها أو قياسها وشيدت قرى مصر كلها على المرتفعات والتلول وذلك حتى لا تغرق فان الماء يغمر البلاد كلها وقت الفيضان وحينئذ يسيرون من قرية لأخرى بالزوارق وقد أنشأوا على الشاطئ من أول الولاية لأخرها جسرا من الطين ليسير عليه

(۸۲)

صفحه ۰۵۲

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۸۳

الناس أی بجانب النیل وتصرف خزینة السلطان کل سنة للعامل المعتمد عشرة آلاف دینار مغربی لتجدید عمارته ویجهز أهل الولایة حاجاتهم الضروریة کلها لهذه الأشهر الأربعة التی تکون بلادهم أثناءها مغمورة بالماء ویخبز کل شخص فی الریف ما یکفیه من الخبز هذه المدة ویقدده حتی لا ـ یتعفن ونظام الفیضان هو الآتی یتزاید الماء أربعین یوما من بدء الفیضان إلی أن یبلغ ثمانیة عشر ذراعا ویبقی علی هذا أربعین یوما لا یزید ولا ینقص ثم یتدرج نحو النقصان مدة أربعین یوما أخری حتی یصل إلی الحد الذی کان علیه فی الشتاء وحینما یبدأ الماء فی التناقص یتبعه الزراع فکلما حفت بقعة زرعوها الزرع الذی یریدون وعلی هذا النحو زرعهم الصیفی والشتوی فلا یتطلب ماء آخر قط تقع مصر بین النیل والبحر والنیل یأتی من الجنوب ویتجه شمالا ویصب فی البحر والمسافة من مصر إلی الإسکندریة ثلاثون فرسخا وتقع الإسکندریة علی شاطئ بحر الروم وشاطئ النیل وتصدر منهما بالسفن فاکهة کثیرة لمصر وفی الإسکندریة منارة رأیتها قائمة وأنا هناک وقد کان فوقها حراقة مرآة محرقة فکلما جاءت سفینة رومیة من القسطنطینیة أصابتها نار من هذه الحراقة فأحرقتها وقد بذل الروم کثیرا من الجد والجهد والحیلة فبعثوا شخصا فکسر المرآة وفی عهد الحاکم

(۸۳)

مفاتیح البحث: السفینة (۱)

صفحه ۰۵۳

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۸۴

سلطان مصر جاءه شخص وعرض علیه ان یعیدها کما کانت فقال الحاکم لا حاجة إلی ذلک فان الروم یرسلون الینا الآن الذهب والمال کل سنة وهم راضون بأن یذهب جیشنا إلیهم ونحن معهم فی سلام تام وماء الشرب فی الإسکندریة من المطر وصحراؤها مملوء بهذه الأعمدة المبعثرة التی قدمت وصفها ویمتد بحر الإسکندریة حتی القیروان التی یفصلها عن مصر مسافة مائة

(۸۴)

صفحه ۰۵۴

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۸۵

وخمسین فرسخا والقیروان ولایة مدینتها الکبری سجلماسة التی تقع علی بعد أربعة فراسخ من البحر وهی مدینة کبیرة فی الصحراء وبها حصن محکم وبجانبها المهدیة التی بناها المهدی أحد أبناء أمیر المؤمنین الحسین بن علی رضی الله تعالی عنهما بعد استیلائه علی المغرب والأندلس وهی فی هذه الأیام تابعة لسلطان مصر ویسقط البرد فی القیروان ولکنه لا یمکث علی أرضها ویتجه البحر شمالا ویسیر ناحیة الیمین إلی الأندلس وبین مصر والأندلس ألف فرسخ وسکانها جمیعا مسلمون وهی ولایة کبیرة جبلیة ینزل فیها البرد ویتجمد سکانها بیض وشعرهم أحمر وأکثرهم کالصقالبة عیونهم کعیون القطط وتقع الأندلس فی نهایة بحر الروم فالبحر شرقی بالنسبة لأهلها وإذا ذهب السائر من الأندلس شمالا جهة الیمین متتبعا الشاطئ فإنه یبلغ بلاد الروم وکثیرا ما یغزون الروم من الأندلس ومن الممکن أن یرکب المسافر البر إلی القسطنطینیة إذا أراد ولکن لا ـ بد من اجتیاز خلجان کثیرة عرض کل منها مائتا فرسخ أو ثلاثمائة فرسخ لا یمکن اجتیازها الا بالسفن والمعابر وقد سمعت من ثقة أن محیط هذا البحر أربعة آلاف فرسخ وأن فرعا منه یدخل

بلاد الظلمات كما يقال وأن نهاية هذا الفرع متجمدة دائما لأن الشمس لا تبلغه ومن جزائر هذا البحر صقلية وتبلغها السفينة من مصر فى عشرين يوما وهناك جزر كثيرة غيرها ويقال ان صقلية ثمانون فرسخا فى ثمانين وهى ملك سلطان مصر وتغادرها كل سنة سفينة تحمل المال إلى مصر ويجلبون منها كتانا رقيقا وثيابا منقوشة يساوى الثوب منها فى مصر عشرة دنانير مغربية وإذا سار السائر من مصر شرقا يبلغ بحر القلزم والقلزم مدينة على شاطئ البحر بينها وبين مصر ثلاثون فرسخا وهذا البحر فرع من محيط يتفرع

(٨٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، السفينة (٢)

صفحه ۰۵۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ٨۶

عند عدن ويتجه نحو الشمال فإذا بلغ القلزم انقطع ويقال أن عرضه مائتا فرسخ ويفصله عن مصر جبال وصحراء لا ماء فيها ولا نبات ومن يريد الذهاب إلى مكة من مصر يلزمه الاتجاه نحو الشرق فإذا بلغ القلزم وجد طريقين أحدهما برى والآخر بحرى وهو يبلغ مكة عن الطريق الأول فى خمسة عشر يوما فى صحراء طولها ثلاثمائة فرسخ وتذهب عن هذا الطريق معظم القوافل الآتية من مصر فإذا سار عن طريق البحر يبلغ الجار فى عشرين يوما وهى مدينة صغيرة من الحجاز تقع على شاطئ البحر ومنها إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ومن المدينة إلى مكة مائة فرسخ فإذا جاوز الجار وواصل السير فى البحر بلغ ساحل اليمن ومن هناك إلى ساحل عدن فإذا جاوزه ينتهى إلى الهند وهكذا حتى الصين وإذا سار من عدن إلى الجنوب مائلا نحو الغرب فإنه يذهب إلى زنجبار والحبشة وسأشرح ذلك فى مكانه وإذا سار من مصر إلى الجنوب وجاوز ولاية النوبة بلغ ولاية المصامدة وهى أرض ذات مراع واسعة وفيها دواب كثيرة وسكانها سود كبار العظام غلاظ أقوياء البنية ويكثر الجند منهم فى مصر وهم قباح الصورة ضخام الجثة يسمون المصامدة يحاربون راجلين بالسيف والحربة ولا يستطيعون استعمال غيرها من الآلات وصف مدينة القاهرة أول مدينة يصل إليها المسافر من الشام إلى مصر هى القاهرة وتقع مدينة مصر جنوبها وتسمى القاهرة (المعزية) ويقال للمعسكر (الفسطاط) يروى أن أحد أبناء أمير المؤمنين الحسين بن على صلوات الله عليهن أجمعين

(٨۶)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (٣)، الحسين بن على (١)، الشام (١)، الهند (١)، الصّلاة (١)، الوسعة (١)

صفحه ۰۵۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ٨٧

وهو المعز لدين الله استولى على بلاد المغرب حتى الأندلس ثم سير جيشا نحو مصر وكان لابد لهذا الجيش أن يعبر النيل وهذا أمر غير مستطاع أولا لأن النيل عظيم الاتساع وثانيا لأنه مملوء بالتماسيح التى تجذب إلى قاعه فى الحال كل من يعبر ويقال إنه فى الطريق قرب مدينة مصر طلسم يحمى الإنسان والدواب من هذا الشر ولكن أثره يبطل على مسافة رمية سهم من المدينة فلا يجرؤ أحد أن يقترب من النيل قيل إن المعز أرسل جيشه فنزل حيث القاهرة اليوم وقد أمر جنوده قائلا ـ حين تصلون إلى النيل ينزل الماء أمامكم كلب أسود فيعبر النهر فاتبعوه واعبروا آمنين قيل وقد بلغ هذا المكان ثلاثون ألف فارس كلهم خدم المعز وقد انطلق الكلب سابحا أمامهم وساروا على أثره وعبروا من غير حادث ولم يقل أحد قط ان فارسا عبر نهر النيل راكبا وكانت هذه الحادثة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ٩٧٣ قد حضر السلطان إلى مصر عن طريق البحر فأفرغت السفن التى حضر بها قرب القاهرة وأخرجت من الماء وتركت

كأنها أشياء لا غناء فيها وقد رأى راوى هذه القصة ناصر خسرو تلك السفن وهى سبع طول الواحدة مائة وخمسون ذراعا وعرضها سبعون وقد مضى عليها هناك ثمانون سنة وكان ذلك سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ۱۰۴۶ حين بلغ الراوى هذا المكان

(۸۷)

مفاتيح البحث: الباطل، الإبطال (۱)

صفحه ۵۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۸

وحين دخل المعز لدين الله مصر تقدم له بالطاعة قائد الجيش الذى ولاه خليفة بغداد ونزل المعز بالجيش فى هذا الموضع الذى هو القاهرة اليوم وقد سمى المعسكر بالقاهرة لأن ذلك الجيش كان قاهرا وقد أمر المعز بأن لا يتجول أحد من جيشه فى المدينة أو يدخل بيت أحد ثم أمر أن تبنى مصر فى هذه الصحراء وأن يشيد كل من أفراد حاشيته بيتا وهكذا بنيت المدينة التى قل نظيرها وقدرت أن فى القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للسلطان وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية فى الشهر وليس بينها ما تقل أجرته عن دينارين والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها

(۸۸)

مفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)

صفحه ۵۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۹

الحصر وكلها ملك السلطان إذ ليس لأحد ان يملك عقارا أو بيتا غير المنازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه وسمعت أن للسلطان ثمانية ألف بيت فى القاهرة ومصر وأنه يؤجرها ويحصل أجرتها كل شهر يؤجرونها للناس برغبتهم ثم يتقاضون الأجر فلا يجبر شخص على شيء ويقع قصر السلطان فى القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أى بناء وقد مسحه المهندسون فوجدوه مساويا لمدينة ميافارقين وكل ما حوله فضاء ويحرسه كل ليلة ألف رجل خمسمائة فارس وخمسمائة رجل وهم ينفخون البوق ويدقون الطبل والكوس من وقت صلاة المغرب ويدورون حول القصر حتى الصباح ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا ـ يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره وقيل إن به اثنى عشر ألف خادم مأجور ومن يعرف عدد من فيه من النساء والجوارى إلا أنه يقال إن به ثلاثين ألف آدمى وهذا القصر يتكون من اثنى عشر جوسقا وله عشرة أبواب فوق الأرض لكل منها اسم على هذا التفصيل وذلك فضلا عن أبواب أخرى تحت الأرض باب الذهب باب البحر باب السريج باب الزهومة باب السلام

(۸۹)

مفاتيح البحث: مواقيت الصلاة (۱)

صفحه ۵۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۰

باب الزبرجد باب العيد باب الفتوح باب الزلاقة باب السرية وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا وهذا الباب على سرداب يؤدى إلى قصر آخر خارج لمدينة ولهذا السرداب الذى يصل بين القصرين سقف محكم وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة تقول إنها قدت من صخر واحد وفوق القصر المناظر والإيوانات العالية وفى داخله دهليز به دكك وأركان الدولة والخدم من العبيد

السود أو الروم والوزير رجل يمتاز عن الجميع بالزهد والورع والأمانة والصدق والعقل ولم يكن شرب الخمر مباحا أعنى أيام الحاكم هذا وفى أيامه حرم على النساء الخروج من بيوتهن وما كان أحد يجفف العنب فى بيته لجواز عمل السيكى (نوع من الشراب) منه ولم يكن أحدهم يجرؤ على شرب الخمر ولا كانوا يشربون الفقاع فقد قيل إنه مسكر فهو محرم وللقاهرة خمسة أبواب باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب الزويلة وباب الخليج وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعا من القلعة وكل قصر حصن ومعظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات ويجلب ماء الشرب من النيل ينقله السقاءون على الجمال والآبار القريبة

(۹۰)

مفاتيح البحث: شرب الخمر (۲)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۲)

صفحه ۶۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۱

من النيل عذب ماؤها وأما البعيدة عنه فماؤها ملح ويقال إن فى القاهرة ومصر اثنين وخمسين ألف جمل يحمل عليها السقاءون الروايا وهولأء عدا من يحمل الماء على ظهره فى الجرار النحاسية أو القرب وذلك فى الحارات الضيقة التى لا تسير فيها الجمال وفى المدينة بساتين وأشجار بين القصور تسقى من ماء الآبار وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها وقد نصبت السواقى لريها وغرست الأشجار فوق الأسطح فصارت متنزهات وحين كنت هناك أجر منزل مساحته عشرون ذراعا فى اثنى عشر ذراعا بخمسة عشر دينارا مغربيا فى الشهر وكان أربعة طوابق ثلاثة منها مسكونة والرابع خال وقد عرض على صاحبه خمسة دنانير مغربية كأجرة شهرية فرفض معتذرا بأنه يلزمه أن يقيم به أحيانا ولو أنه لم يحضر مرتين فى السنة التى أقمتها هناك وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر لا من الجص والآجر والحجارة وهى بعيدة عن بعضها فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر ويستطيع كل مالك أن يجعل ما ينبغى لبيته فى كل وقت من هدم أو إصلاح دون أن يضايق جاره ويرى السائر خارج المدينة ناحية الغرب ترعة كبيرة تسمى الخليج حفرها والد السلطان وله على شاطئيها ثلاثمائة قرية ويبتدئ فم الخليج من مدينة مصر ويمر بالقاهرة ويدور بها مارا أمام قصر السلطان وقد شيد على رأسه قصران أولهما قصر اللؤلؤة وثانيهما قصر

(۹۱)

صفحه ۶۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۲

الجوهرة وفى القاهرة أربعة مساجد جمعة الأزهر وجامع النور وجامع الحاكم وجامع المعز والأخير خارج القاهرة على شاطئ النيل

(۹۲)

مفاتيح البحث: السجود (۱)

صفحه ۶۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۳

ويتوجه المصريون نحو مطلع الحمل حين يولون وجوههم شطر القبلة وبين مدينتى مصر والقاهرة أقل من ميل والأولى فى الجنوب والثانية فى الشمال ويمر النيل بهما وبساتينهما وبيوتهما متصلة أما البقية فتحت مستوى الماء وتغمر المياه الوادى بأجمعه فى الصيف كأنه بحر عدا حديقة السلطان لأنها على مرتفع أما البقية فتحت مستوى الماء وصف فتح الخليج حين يبلغ النيل الوفاء أى من العاشر

شهر يور أغسطس وسبتمبر إلى العشرين من آبان (أكتوبر ونوفمبر) ويبلغ ارتفاع الماء ثمانية عشر ذراعا عن مستواه فى الشتاء وتكون أفواه الترع والجداول مسدودة فى البلاد كلها يحضر السلطان راكبا ليفتح النهر الذى يسمى الخليج والذى يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة وهو ملك خاص للسلطان وفى ذلك اليوم يوم ركوب السلطان لفتح الخليج تفتح الخلجان والترع الأخرى فى الولايات كلها وهذا اليوم أعظم الأعياد فى مصر ويسمى عيد ركوب فتح الخليج حينما يقترب ينصب للسلطان على رأس الخليج سرادق عظيم التكاليف من الديباج الرومى وموشى كله بالذهب ومكلل بالجواهر ومعد أعظم إعداد بحيث يتسع ظله لمائة فارس وأمام هذا السرادق خيمة من البوقلمون وسرادق آخر كبير وقبل الاحتفال بثلاثة أيام يدقون الطبل وينفخون البوق ويضربون الكوس فى الإصطبل لتألف الخيل هذه الأصوات وحين يركب السلطان يصطف عشرة آلاف فارس على خيولهم سروج

(٩٣)

صفحه ۰۶۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ٩۴

مذهبة وأطواق وألجمة مرصعة وجميع لبد السروج من الديباج الرومى والبوقلمون نسجت لهذا الغرض خاصة فلم تفصل ولم تخط وطرزت حواشيها باسم سلطان مصر وعلى كل حصان درع أو جوشن وعلى قمة السرج خوذة وجميع أنواع الأسلحة الأخرى وكذلك تسير جمال كثيرة عليها هوادج مزينة وبغال عمارياتها (هوادجها) كلها مرصعة بالذهب والجواهر وموشاة باللؤلؤ وإن الكلام ليطول إذا وصفت كل ما يكون يوم فتح الخليج وفى ذلك اليوم يخرج جيش السلطان كله فرقة فرقة وفوجا فوجا فرقة تسمى الكتاميين وهم من القيروان أتوا فى خدمة المعز لدين الله وقيل إن عددهم عشرون ألف فارس وفرقة تسمى الباتليين وهو رجال من المغرب دخلوا مصر قبل مجىء السلطان إليها وقيل إن عددهم خمسة عشر ألف فارس وفرقة تسمى المصامدة وهو سود من بلاد المصامدة قيل أن عددهم عشرون ألف رجل وفرقة تسمى المشارقة وهم ترك وعجم وسبب هذه التسمية أن أصلهم ليس عربيا ولو أن أكثرهم ولد فى مصر وقد اشتق اسمهم من الأصل قيل إنهم عشرة آلاف رجل وهم ضخام الجثة وفرقة تسمى عبيد الشراء وهم عبيد مشترون قيل أن عددهم ثلاثون ألف رجل وفرقة تسمى البدو وهم من أهل الحجاز يقال لهم الرماة وهم خمسون ألف فارس وفرقة تسمى الأستاذين كلهم خدم بيض وسود اشتروا للخدمة وهم ثلاثون ألف فارس وفرقة تسمى السرائيين وهم مشاة جاءوا من كل ولاية ولهم قائد خاص يتولى رعايتهم وكل منهم يستعمل سلاح ولايته وعددهم عشرة آلاف رجل

(٩۴)

صفحه ۰۶۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ٩۵

وفرقة تسمى الزنوج يحاربون بالسيف وحده وقيل أنهم ثلاثون ألف رجل ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان ولكل جندى منه مرتب شهرى على قدر درجته ولا يجبر على دفع دينار منها أحد الرعايا أو العمال ولكن هؤلاء يسلمون للخزانة أموال ولايتهم سنة فسنة وتصرف أرزاق الجند من الخزانة فى وقت معين بحيث لا يرهق وال أو واحد من الرعية بمطالبة الجند وهناك فرقة من أبناء الملوك والأمراء الذين جاءوا لمصر من أطراف العالم ولا يعدون من الجيش وهم من المغرب واليمن والروم وبلاد الصقالبة والنوبة وأولاد ملوك الكرج (جورجيا) وأبناء ملوك الديلم وأبناء خاقان تركستان وكذلك وجد فى يوم فتح الخليج طبقات أخرى من الرجال ذوى الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء ولكل منهم أرزاق معينة ولا يقل رزق الواحد من أبناء الأمراء عن خمسمائة دينار وقد يبلغ الألفين وليس لهم عمل إلا أن يذهبوا ليسلموا على الوزير حين يركب ثم يعودون والآن نعود إلى حديث فتح الخليج

(۹۵)

صفحه ۶۵۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۶

فی الیوم الذی ذهب السلطان فی صباحه لفتح الخلیج استأجروا عشر آلاف رجل أمسک کل واحد منهم إحدی الجنائب التی ذکرتها وساروا مائة مائة وأمامهم الموسیقیون ینفخون البوق ویضربون الطبل والمزمار وسار خلفهم فوج من الجیش مضی هؤلاء من قصر السلطان حتی رأس الخیول أتت الجمال وعلیها المهود والمراقد ومن بعدها البغال وعلیها العماریات وقد ابتعد السلطان عن الجیش والجنائب وهو شاب کامل الجسم طاهر الصورة من أبناء أمیر المؤمنین حسین بن علی بن أبی طالب صلوات الله علیهما کان حلیق شعر الرأس یرکب علی بغل لیس فی سرجه أو لجامه حلیة فلیس علیه ذهب أو فضة وقد ارتدی قمیصا أبیض علیه فوطة فضفاضة کالتی تلبس فی بلاد المغرب والتی تسمی فی بلاد العجم دراعة وقیل أن اسم هذا القمیص الدبیقی وإنه یساوی عشر آلاف دینار وکان علی رأسه عمامة من لونه ویمسک بیده سوطا ثمینا وأمامه ثلاثمائة راجل دیلمی علیهم ثیاب رومیة مذهبة وقد حزموا خصورهم وأکمامهم واسعة کما یلبس رجال مصر ومعهم النشاب والسهام وقد عصبوا سیقانهم ویسیر مع السلطان حامل المظلة راکبا حصانا وعلی رأسه عمامة مذهبة مرصعة وعلیه حلة قیمتها عشرة آلف دینار ذهبی مغربی والمظلة التی بیده ثمینة جدا وهی مرصعة ومکللة ولیس مع السلطان فارس غیر حامل المظلة وقد سار أمامه الدیالمة وعلی یمینه ویساره جماعة من الخدم

(۹۶)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الطهارة (۱)، اللبس (۱)، الوسعة (۱)، القمیص (۱)

صفحه ۶۶۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۷

یحملون المجامر ویحرقون العنبر والعود والعادة فی مصر أن یسجد الرجال للسلطان وأن یدعوا له کلما قرب منهم وجاء بعد السلطان الوزیر مع قاضی القضاة وفوج کبیر من أهل العلم وأرکان الدولة وقد ذهب السلطان إلی حیث ضرب الشراع علی رأس سد الخلیج أی فم النهر وظل ممتطیا البغل تحت السرادق مدة ساعة وبعد ذلک سلموه مزراقا لیضرب به السد ثم عجل الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس والمخارف فانساب الماء وقد کان مرتفعا وجری دفعة واحدة فی الخلیج وفی هذا الیوم یخرج جمیع سکان مصر والقاهرة للتفرج علی فتح الخلیج وتجری فیه أنواع الألعاب العجیبة وکان فی أول سفینة نزلت الخلیج جماعة من الخرس یسمون بالفارسیة کنکت ولآل لعلهم یتفاءلون بنزولهم ویجری السلطان علیهم صدقاته فی هذا الیوم وکان للسلطان إحدی وعشرون سفینة وقد عمل لها حوض خاص قرب القصر فی اتساع میدانین أو ثلاثة وطول کل سفینة منها خمسون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا وکلها مزینة بالذهب والفضة والجواهر والدیباج ولو وصفتها لسطرت أوراقا کثیرة وهذه السفن کلها مربوطة فی الحوض معظم الوقت کالبغال فی الإصطبل

(۹۷)

مفاتیح البحث: السجود (۱)، الضرب (۱)، السفینة (۳)

صفحه ۶۷۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۸

وللسلطان حدیقة تسمی حدیقة عین شمس علی فرسخین من القاهرة وهناک عین ماء عذبة سمی البستان بها ویقال إن هذه الحدیقة

كانت لفرعون وقد رأيت قربها بناية قديمة بها أربع قطع من الحجارة الكبيرة كل قطعة مثل المنارة وطول كل منها ثلاثون ذراعا وكان الماء يقطر من رؤوسها ولا يدرى أحد ما هى وفى الحديقة شجرة البلسان يقال إن آباء هذا

(۹۸)

صفحه ۶۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۹

السلطان أتوا ببذرتها من بلاد المغرب وزرعوها فى الحديقة ولا يوجد غيرها فى جميع الآفاق وهى غير معروفة فى بلاد المغرب ومع أن لهذه الشجرة بذرا إلا أنه لا ينبت حيثما زرع وإذا نبت فلا يخرج الزيت منه وهذه الشجرة مثل شجرة الآس يشذبون غصونها بالنصل حينما تكبر ويربطون زجاجة عند موضع كل قطع فيخرج منه الدهن كالصمغ وحين ينفذ ما فيها من دهن تجف ويحمل البستانيون غصونها إلى المدينة ويبيعونها ولحاؤها ثخين وطعمه كاللوز حين يقشر وينبت فى جزعها أغصان فى السنة التالية فيعملون بها كما فعلوا فى السنة الغابرة ولمدينة القاهرة عشر محلات وهم يسمون المحلة حارة وهى حارات برجوان وزويله والجودرية والأمراء والديالمة

(۹۹)

صفحه ۶۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۰

والروم والباطلية وقصر الشوق وعبيد الشرا والمصامدة وصف مدينة مصر شيدت مصر على ربوة وجانبها الشرقى جبلى يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال وفى طرف المدينة جامع ابن طولون وهو مشيد على ربوة وله جداران محكمان ولم أر أعظم منهما غير جدار آمد وميافارقين وقد بناه أمير من أمراء العباسين كان حاكما على مصر وفى أيام الحاكم بأمر الله جد هذا السلطان المستنصر باعه أحفاد ابن طولون بثلاثين ألف دينار

(۱۰۰)

صفحه ۷۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۱

مغربى وبعد مدة شرعوا فى هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع فأرسل لهم الحاكم قائلا بقد بعتمونى هذا المسجد فكيف تهدمونه فأجابوا نحن لم نبع المئذنة فأعطاهم خمسة آلاف دينار ثمنا لها وكان السلطان يصلى فى هذا المسجد طوال شهر رمضان وأيام الجمع من بقية الشهور ومدينة مصر مشيدة على ربوة خشية فيضان الماء عليها وهذه الربوة كانت مغطاة فى وقت ما بأحجار كبيرة جدا فكسرت وسويت ويقال الآن للأماكن التى لم تسو عقبة وتبدو مصر كأنها جبل حين ينظر إليها من بعيد وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة وبيوت من سبع طبقات وسمعت من ثقات أن شخصا غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار وحمل إليها عجلا رباه فيها حتى كبر ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر وزرع على هذا السطح شجر النارنج والترنج والموز وغيرهما وقد أثمرت كلها كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دورا كثيرة فيها حجرات للاستغلال أى للإيجار ومساحتها ثلاثون ذراعا فى ثلاثين وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصا وهناك أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائما لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ويسير فيها الناس وفى مصر سبعة جوامع غير جوامع القاهرة والمدينتان متصلتان وفيهما

معا خمسة عشر جامعا (مسجد جمعة) وذلک لتلقی خطبة الجمعة والصلاة

(۱۰۱)

مفاتیح البحث: شهر رمضان المبارک (۱)، الحج (۱)، الصّلاة (۱)، السجود (۳)

صفحه ۰۷۱

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۰۲

فی کل حی منهما وفی وسط سوق مصر جامع یسمی باب الجوامع شیده عمرو بن العاص أیام إمارته علی مصر من قبل عمر بن الخطاب وهذا المسجد قائم علی أربعمائة عمود فی الرخام والجدار الذی علیه المحراب مغطی کله بألواح الرخام الأبیض التی کتب القرآن علیها بخط جمیل ویحیط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق وعلیها تفتح أبوابه ویقیم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون وهو مکان اجتماع سکان المدینة الکبیرة ولا یقل من من فیه فی أی وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والکتاب الذین یحررون الصکوک والعقود وغیرها وقد اشتری الحاکم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص وکانوا قد ذهبوا الیه وقالوا نحن فقراء معوزون وقد بنی جدنا هذا المسجد فإذا اذن السلطان نهدمه ونبیع أحجاره ولبناته فاشتراه الحاکم بمائة آلف دینار وأشهد علی ذلک کل أهل مصر ثم أدخل علیه عمارات کثیرة عظیمة منها ثریا فضیة لها ستة عشر جانبا کل جانب منها ذراع ونصف فصارت دائرتها أربعا وعشرین ذراعا ویوقدون فی لیالی المواسم أکثر من سبعمایة قندیل ویقال ان وزن هذه الثریا خمسة وعشرون قنطارا فضة کل قنطار مائة رطل وکل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم ویقال انه حین تم صنعها لم یتسع لها باب من أبواب المسجد لکبرها فخلعوا بابا وأدخلوها منه ثم أعادوا الباب مکانه ویفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصیر الجمیل الملون بعضها فوق بعض ویضاء کل لیلة بأکثر من مائة قندیل وفی هذا المسجد مجلس قاضی القضاة

(۱۰۲)

مفاتیح البحث: الخلیفة عمر بن الخطاب (۱)، عمرو بن العاص (۲)، القرآن الکریم (۱)، السجود (۸)

صفحه ۰۷۲

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۰۳

وعلی الجانب الشمالی للمسجد سوق یسمی سوق القنادیل لا یعرف سوق مثله فی أی بلد وفیه کل ما فی العالم من طرائف ورأیت هناک الأدوات التی تصنع من الذبل کالأوعیة والأمشاط ومقابض السکاکین وغیرها ورأیت کذلک معلمین مهرة ینحتون بلورا غایة فی الجمال وهم یحضرونه من المغرب وقیل إنه ظهر حدیثا عند بحر القلزم بلور ألطف وأکثر شفافیة من بلور المغرب ورأیت أنیاب الفیل أحضرت من زنجبار وکان وزن کثیر منها یزید علی مائتی من کما أحضر جلد البقر من الحبشة یشبه جلد النمر ویعملون منه النعال وقد جلبوا من الحبشة طائرا ألیفا کبیرا به نقط بیضاء وعلی رأسه تاج مثل الطاووس وتنتج مصر عسلا وسکرا کثیرا وفی الیوم الثالث من شهر دی القدیم (دیسمبر ینایر) من السنة الفارسیة ست عشرة وأربعمائة رأیت فی یوم واحد هذه الفواکه والریاحین الورد الأحمر والنیلوفر والنرجس والترنج والنارنج واللیمون والمرکب والتفاح والیاسمین والریحان الملکی والسفرجل والرمان والکمثری والبطیخ والعطر والموز والزیتون والبلیج (الإهلیلج) والرطب والعنب وقصب السکر والباذنجان والقرع واللفت والکرنب والفول الأخضر والخیار والقثاء والبصل والثوم والجزر والبنجر وکل من یفکر کیف تجتمع هذه الأشیاء التی بعضها خریفی وبعضها ربیعی وبعضها صیفی وبعضها شتوی لا یصدق هذا ولکن لیس لی قصد فیما ذکرت ولم أکتب الا ما رأیت وأما ما سمعته ثم کتبته فلیست عهدته علی فولایة مصر عظیمة الاتساع بها کل أنواع الجو من البارد والحار وتجلب کل الحاجیات لمدینة مصر من جمیع البلاد ویباع بعضها

فى الأسواق ويصنعون بمصر الفخار من كل نوع وهو لطيف وشفاف بحيث إذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل وتصنع منه الكؤوس

(۱۰۳)

مفاتيح البحث: يوم عاشوراء (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۷۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۴

والأقداح والأطباق وغيرها وهم يلونونها بحيث تشبه البوقلمون فتظهر مختلف فى كل جهة تكون بها ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد فى الصفاء والرقة ويبيعونها بالوزن وسمعت من بزاز ثقة أن وزن الدرهم الواحد من الخيط يشترى بثلاثة دنانير مغربية وهى تساوى ثلاثة دنانير ونصف نيسابورية وقد سألت فى نيسابور بكم يشترون أجود الخيط فقالوا إن الخيط الذى لا نظير له يشترى الدرهم منه بخمسة دراهم ومدينة مصر ممتدة على شاطئ النيل الذى بنيت عليه القصور والمناظر الكثيرة بحيث إذا احتاجوا إلى الماء رفعوه بالحبال من النيل أما ماء المدينة فيحضره السقاءون من النيل أيضا يحمله بعضهم على الإبل وبعضهم على كتفه ورأيت قدورا من النحاس الدمشقى كل واحد منها يسع ثلاثين منا وكانت من الطلاوة بحيث تظنها من ذهب وقد حكوا لى أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم فى الشهر وينبغى أن يردها المستأجر سليمة وأمام مصر جزيرة وسط النيل كان عليها مدينة فى وقت ما والجزيرة غربى المدينة وبها مسجد جمعة وحدائق وهى صخرة وسط النهر تقسمه قسمين كل منهما فى اتساع جيحون ولكن أكثر هدوءا وبطأ فى جريانه وثبت بين الجزيرة والمدينة جسر من ست وثلاثين سفينة ويقع جزء من مدينة مصر على جانب النيل الآخر ويسمونه الجيزلا وبها مسجد لصلاة الجمعة ولكن ليس لها جسر ولذا يعبر الناس بالزوار أو بالمعابر وهى كثيرة فى مصر أكثر مما فى بغداد أو البصرة

(۱۰۴)

مفاتيح البحث: صلاة الجمعة (۱)، مدينة البصرة (۱)، مدينة بغداد (۱)، السجود (۲)

صفحه ۰۷۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۵

وتجار مصر يصدقون فى كل ما يبيعونه وإذا كذب أحدهم على مشتر فإنه يوضع على جمل ويعطى جرسا بيده ويطوف به فى المدينة وهو يدق الجرس وينادى قائلا- قد كذبت وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب ويعطى التجار فى مصر من بقالين وعطارين وبائعى خردوات الأوعية اللازمة لما يبيعون من زجاج أو خزف أو ورق حتى لا- يحتاج المشترى أن يحمل معه وعاء ويستخرجون من بذور الفجل واللفت زيتا للمصابيح يسمونه الزيت الحار والسمسم هناك قليل وزيته عزيز وزيت الزيتون رخيص والفستق أغلى من اللوز ولا- تزيد العشرة أمنان من اللوز المقشور على دينار واحد ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمر المسرجة فى ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق وفى كل حى على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها برادع مزينة يركبها من يريد نظير أجر زهيد وقيل إنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى ولا يركب الخيل إلا الجند والعسكر فلا يركبها التجار أو القرويون أو أصحاب الحرف والعلماء ورأيت كثيرا من الحمر البلق كالخيل بل أجمل وكان أهل مدينة مصر فى غنى عظيم حين كنت هناك وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (۱۰۴۷) ولد للسلطان ولد فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول ولما صدقونى فقد كانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملوءة بالذهب والجواهر

والنقد والأمتعة المختلفة والملابس المذهبة والمقصبة بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس وكان الناس جميعا يثقون بالسلطان فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين معتمدين على أن السلطان لا يظلم أحد ولا يطمع فى مال أحد ورأيت أموالا يملكها بعض المصرين لو ذكرتها أو وصفتها لما صدقنى الناس فى فارس فإنى

(۱۰۵)

مفاتيح البحث: الكذب، التكذيب (۳)، الغنى (۱)

صفحه ۰۷۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۶

لا أستطيع أن أحدد أموالهم أو أحصرها أما الأمن الذى رأيته هناك فإنى لم أره فى بلد من قبل وقد رأيت هناك نصرانيا من سراة مصر قيل إن سفنه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد وحدث فى سنه ما أن كان النيل ناقصا وكانت الغلة عزيزة فأرسل الوزير إلى هذا النصرانى وقال ليست السنة رخاء والسلطان مشفق على الرعية فاعط ما استطعت من الغلة إما نقدا وإما قرضا قال النصرانى أسعد الله السلطان والوزير إن لدى من الغلة ما يمكننى من إطعام أهل مصر الخبز ست سنوات ولا شك ان سكان مصر فى ذلك الوقت كانوا كثرين فإن سكان نيسابور خمسهم مع الإسراف فى التقدير وكل من يستطيع الحكم يدرك كم ينبغى أن يكون لهذا الثرى لتبلغ غلته هذا المقدار وأى سلام كانت فيه الرعية وأى عدل كان للسلطان بحيث تكون أحوال الناس على هذا الوضع وأموالهم بهذا القدر لم يكن السلطان يظلم أو يجور على أحد ولا كان أحد من الرعية يخفى أو ينكر شيئا مما يملك ورأيت هناك خانا يسمى دار الوزير لا يباع فيه سوى القصب وفى الدور الأسفل منه يجلسن الخياطون وفى الأعلى الرفاءون وسألت القيم عن أجرة هذا الخان الكبير فقال كانت سنة عشرين ألف دينار مغربى ولكن جانبا منه قد تخرب وهو يعمر الآن فيحصل منه كل شهر ألف دينار يعنى اثنى عشر ألف دينار فى السنة وقيل إن فى هذه المدينة مائتى خان أكبر منه أو مثله وصف مائدة السلطان يقيم السلطان مأدبة فى كل من العيدين ويأذن بالاستقبال فى قصره

(۱۰۶)

مفاتيح البحث: الطعام (۱)، الإسراف (۱)

صفحه ۰۷۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۷

للخواص والعوام وتنصب مائدة الخواص فى حضرته ومائدة العوام فى سرايات أخرى وقد سمعت كثيرا عن هذه المآدب فرغبت فى رؤيتها رأى العين فذهبت عند أحد كتاب السلطان وكنت قد صاحبته فتوطدت الصداقة بيننا وقلت له رأيت مجالس ملوك وسلاطين العجم مثل السلطان محمود الغزنوى وابنه السلطان مسعود وقد كانا ملكين عظيمين ذوى نعمة وجلال وأريد أن أرى مجالس أمير المؤمنين فنقل رغبتى إلى الموكل بالستار المسمى صاحب الستر وقد تفضل هذا فسمح لى بالذهاب فى آخر رمضان سنة أربعين وأربعمائة (۷ مارس ۱۰۴۹) وكان المجلس قد أعد لليوم الثانى وهو يوم العيد حيث يحضر السلطان بعد الصلاة فيجلس فى صدر المائدة حين دخلت من باب السراى رأيت عمارات وصفف وإيوانات إن أصفها يطل الكتاب كان هناك اثنا عشر جناحا أبنيتها مربعة وكلها متصلة بعضها ببعض وكلما دخلت جناحا منها وجدته أحسن من سابقه ومساحة كل واحد منها مائة ذراع فى مائة عدا واحدا منها كانت مساحته ستين ذراعا فى ستين كان بهذا الأخير تخت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث وعليه صور المصطاد والميدان وغيرهما كما أن عليه كتابة جميلة وكل ما فى هذا الحرم من الفرش والطرح من الديباج الرومى

والبوقلمون نسجت على قدر كل موضع تشغله وحول التخت درابزين من الذهب المشبك يفوق حد الوصف ومن خلف التخت بجانب الحائط درجات من الفضة وبلغ هذا التخت من العظمة أنى لو قصرت هذا الكتاب كله على وصفه ما استوفيت الكلام وما كفى

(۱۰۷)

مفاتيح البحث: شهر رمضان المبارك (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۷۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۸

وقيل إن راتب السكر فى ذلك اليوم الذى تنصب فيه مائدة السلطان خمسون ألف من وقد رأيت على المائدة شجرة أعدت للزينة تشبه شجرة الترنج كل غصونها وأوراقها وثمارها مصنوعة من السكر وعليها ألف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر أيضا ومطبخ السلطان خارج القصر ويعمل فيه دائما خمسون غلاما ويصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض وجرت العادة فى مصر أن يحمل إلى دار الشراب السلطانية (شرابخانة) كل يوم أربعة عشر حملا من الثلج وكان لمعظم الأمراء والخواص راتب من هذا الثلج ويصرف منه لمن يطلبه من مرضى المدينة وكذلك كل من يطلب من أهلها مشروبا أو دواء من الحرم السلطانى فإنه يعطاه كما أن هناك زيوتا أخرى كزيت البلسان وغيره كان للناس كافة أن يطلبوها فلا تمنع عنهم سيرة سلطان مصر بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم بل يسدلون عليها الستائر ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شىء منها يحكى أنه كان بمصر يهودى وافر الثراء يتجر بالجواهر وكان مقربا من السلطان الذى كان يعتمد عليه فى شراء ما يريد من الجواهر الكريمة وذات يوم اعتدى عليه الجنود وقتلوه فلما ارتكبوا هذا الجرم خشوا بطش السلطان فركب عشرون ألف فارس منهم وخرجوا إلى الميدان وهكذا خرج الجيش إلى الصحراء وخاف أهل المدينة مغبة هذه المظاهرة إذ ظل الجيش فى الصحراء حتى منتصف النهار فخرج إليهم خادم القصر ووقف بباب السراى وقال إن السلطان يسأل إذا كنتم مطيعين أم لا فصاحوا صيحة واحدة نحن عبيد مطيعون ولكننا أذنبنا فقال الخادم يأمركم السلطان بأن تعودوا فعادوا فى الحال

(۱۰۸)

مفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۱)

صفحه ۰۷۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۹

واسم هذا اليهودى المقتول أبو سعيد وكان له ابن وأخ وقيل إنه لا يعرف مدى غناه إلا الله فقد كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع فى كل منها شجرة كأنها حديقة وكلها أشجار مثمرة وقد كتب أخوه لما ملكه من الفزع رسالة للسلطان يقول فيها إنى أقدم للخزانة مائتى ألف دينار مغربى حالا فأمر السلطان بعرض الرسالة على الناس وتمزيقها على الملأ وقال كونوا آمنين وعودوا إلى بيوتكم فليس لأحد شأن بكم ولسنا بحاجة لمال أحد واستمالهم إليه وكان لكل مسجد فى جميع المدن والقرى التى نزلت بها من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السرج والحصير والبوريا وسجاجيد الصلاة ورواتب القوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم وكتب والى الشام فى بعض السنين إلى السلطان بأن الزيت قليل ثم استأذن فى أن يصرف للمساجد الزيت الحار المستخرج من بذور الفجل واللفت فأجيب إنك مأمور لا وزير وليس من الجائز أن تغير أو تبدل فى شىء يتعلق ببيت الله ويتقاضى قاضى القضاة ألفى دينار مغربى فى الشهر ومرتب كل قاض على قدر مرتبته ذلك حتى لا يطمع القضاة فى أموال الناس أو يظلمونهم والعادة فى مصر أن يقرأ مرسوم السلطان فى المساجد فى منتصف رجب وهو يا معشر المسلمين حل موسم الحج وسيجهز ركب

السلطان كالمعتاد وسيكون معه الجنود والخيل والجمال والزاد وينادى بذلك فى شهر رمضان

(۱۰۹)

مفاتيح البحث: شهر رجب المرجب (۱)، شهر رمضان المبارک (۱)، الشام (۲)، الحج (۱)، السجود (۳)، الفزع (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۷۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۰

أيضا ويبدأ الناس فى السفر ابتداء من أول ذى القعدة وينزلون فى موضع معين ثم يسيرون فى منتصف هذا الشهر ويبلغ خرج الجيش الذى يرافق السلطان ألف دينار مغربى فى اليوم هذا عدا عشرين دينارا مرتبة لكل رجل فيه ويبلغون مكة فى خمسة وعشرين يوما ويمكثون بها عشرة أيام ثم يعودون إلى مصر فى خمسة وعشرين يوما ونفقاتهم فى الشهرين ستون ألف دينار مغربى عدا التعهدات والصلات والمشاهرات وثمن الجمال التى تنفق فى الطريق وقد قرى على الناس سنة تسع وثلاثين وأربعمائة المرسوم التالى من سجل السلطان يقول أمير المؤمنين أنه ليس من الخير أن يسافر الحجاج للحجاز هذا العام فإن به قحطا وضيقا وقد هلك به خلق كثيرون وأنى أقول هذا شفقة بالمسلمين فلم يسافر الحجاج وكان السلطان يرسل الكسوة للكعبة كالمعتاد لأنه يرسلها مرتين كل سنة فلما سافرت الكسوة مع وفد السلطان عن طريق القلزم سافرت معهم فخرجت من مصر أول ذى القعدة وبلغت القلزم فى الثامن منه ومن هناک أقلعت السفينة فبلغنا بعد خمسة عشر يوما مدينة تسمى الجار فى الثانى والعشرين من ذى القعدة وقمنا من هناک فبلغنا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أربعة أيام المدينة والمدينة بلد على حافة الصحراء أرضها رطبة وملحة يجرى بها ماء قليل وهى كثيرة النخل والقبلة هناک ناحية الجنوب ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قدر المسجد الحرام ومقامه عليه الصلاة والسلام بجانب المنبر يسار المصلين وهو متوجهون ناحية القبلة فحين يذكر الخطيب وهو فوق

(۱۱۰)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، شهر ذى القعدة (۳)، مدينة مكة المكرمة (۱)، مسجد الحرام (۱)، السجود (۱)، الإنفاق (۱)، الهلاک (۱)، الصّلاة (۲)، السفينة (۱)

صفحه ۰۸۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۱

المنبر النبى عليه السلام ويصلى عليه يلتفت ناحية اليمين ويشير إلى المقام الشريف وهذا المقام مخمس ترتفع حوائطه من بين أعمدة المسجد ويحيط به خمسة أعمدة وكان فى آخره حظيرة أحيطت بسياج حتى لا يدخلها أحد وأسدل على الجزء المكشوف منها شبكة حتى لا تدخلها الطيور وبين قبر الرسول والمنبر مسافة من الرخام تشبه الساحة وتسمى الروضة ويقال إنها روضة من رياض الجنة كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ويقول الشيعة إن هناک قبر فاطمة الزهراء عليها السلام وللمسجد باب واحد وخارج المدينة ناحية الجنوب صحراء بها مقبرة فيها قبر (أمير المؤمنين) حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه يسمونها قبور الشهداء وقد أقمنا يومين بالمدينة ثم غادرناها لضيق الوقت فسرنا شرقا وعلى منزلين منها جبل ومضيق يشبه الوادى يسمى الجحفة وهناک ميقات حجاج المغرب والشام ومصر والميقات هو الموضع الذى يحرم منه الحجاج ويقال إن الحجاج نزلوا هناک فى سنة ما وكانوا كثيرين فنزل عليهم السيل فجأة فأهلكهم لذلک سمى هذا المكان الحجفة وبين مكة والمدينة مائة فرسخ من الصخر قطعناها فى ثمانية أيام وقد بلغنا مكة فى يوم الأحد السادس من ذى الحجة ونزلنا عند باب الصفا وكان بمكة قحط فكانت الأربعة أمنان من الخبز بدينار نيسابورى وقد هاجر منها المجاورون ولم يفد عليها حاج من أى بلد وقد أدينا فريضة الحج لله الحق

سبحـانه وتعـالى يوم الأربعـاء فى عرفـات ولبثنا بمكـة يومين قـد خرج من الحجاز خلق كثير مما أصابهم من الجوع والفقر وتفرقوا فى البلاد

(۱۱۱)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (۱)، حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء عليه السلام (۱)، شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۴)، الشام (۱)، الحج (۱)، القبر (۴)، السجود (۱)، الصّلاة (۲)

صفحه ۰۸۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۲

ولا أذكر مناسك الحـج ووصف مكـة الآن سأذكر ذلك عنـد ذكر آخر نوبـة للحج حين بقيت سـتة أشـهر بمكة مجاورا وسأشـرح ما رأيت ثم توجهنا ناحيـة مصـر فبلغناها بعـد خمسـة وسـبعين يوما وقـد هاجر إليها من الحجاز فى هـذا العام خمسة وثلاثون ألف آدمى فكسـاهم السـلطان وأجرى عليهم الرزق سـنة كاملـة وقـد كـانوا جميعـا جائعين عرايا ولما أمطرت السـماء فى بلادهم وكثر فيها الطعام كساهم السـلطان صغيرهم وكبيرهم وأغدق عليهم الصلات ثم رحلهم إلى الحجاز وفى شهر رجب سنة أربعين وأربعمائة (ديسمبر سنة ۱۰۴۸) قرأوا على النـاس مرة أخرى مثالا للسـلطان بأن فى الحجاز قحطا وليس من الخير أن يسافر الحجاج فلينفقوا المال على أنفسـهم وليفعلوا ما أمر الله به وفى هذه السنة أيضا لم يسافر الحجاج ولكن السلطان لم يقصر البتة فى إرسال ما كان يرسله كل سنة من الكسوة وأجور الخدم والحاشـية وأمراء مكة والمدينة وصلة أمير مكة وقد كانت ثلاثة آلاف دينار فى الشهر وكانت ترسل اليه الخيول والخلع مرتين فى السـنة وعهد بهذا فى هذه السـنة إلى رجل اسـمه القاضـى عبد الله من قضاة الشام وقد ذهبت معه من طريق القلزم وقد بلغت السـفينة الجار فى الخامس والعشرين من ذى القعدة وكان موعد الحج قد قرب كثيرا وكان الجمل يؤجر بخمسة دنانير فذهبنا مسرعين بلغت مكـة فى الثامن من ذى الحجـة وأديت فريضـة الحـج بعون الله سـبحانه وتعالى وقـد حـدث أن قافلـة عظيمة أتت للحج من بلاد المغرب وفى أثناء عودة حجاجها عنـد باب المدينـة المنورة طلب العرب الخفارة منهم فقامت الحرب بينهم وقتل من المغاربة أكثر من ألفى رجل ولم يعد كثير منهم إلى المغرب وفى هذه الحجة أيضا قام جماعة من أهل خراسان عن

(۱۱۲)

مفاتيح البحث: شـهر ذى القعدة (۱)، شـهر ذى الحجة (۱)، مدينـة مكة المكرمة (۵)، شـهر رجب المرجب (۱)، المدينة المنورة (۱)، خراسان (۱)، الشام (۱)، الحج (۵)، الرزق (۱)، الطعام (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۰۸۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۳

طريق الشام ومصـر فبلغوا المدينة فى سـفينة وقد بقى عليهم أن يقطعوا مائة فرسخ وأربعة حتى عرفات وهم فى السادس من ذى الحجة فقـالوا إن كلاـ منا يـدفع أربعين دينارا لمن يرحلنا إلى مكـة فى هـذه الأيام الثلاثـة الباقيـة لنلحق الحـج فجاء الأعراب وأوصـلوهم إلى عرفات فى يومين ونصف يوم وأخذوا أجورهم ذهبا وكانوا قد شدوهم إلى جمال سريعة وأتوا بهم من المدينة إلى عرفات وقد هلك اثنـان منهم وكانوا موثقين على الجمال وكان أربعـة منهم نصف أموات وقـد بلغوا عرفات ونحن هناك ساعـة صـلاة العصـر وكانوا لا يستطيعون الوقوف أو الكلام قالوا إنا توسلنا كثيرا فى الطريق أن يأخذ هؤلاء الأعراب الذهب الذى اشترطنا وأن يتركونا فإنه لا طاقة لنا على مواصلـة السـفر ولكنهم لم يسـمعوا لنا وساقونا على هذا النحو ومهما يكن فقد حج هؤلاء الأربعة وعادوا عن طريق الشام وبعد أن أكملت الحـج توجهت نحو مصـر فقد كانت لى بها كتب ولم يكن فى نيتى أن أعود إليها وقد صـحبت أمير مكة إلى مصـر هذا العام

فقد كان له رسم على السلطان يعطاه كل سنة لقرابته من أبناء الحسين بن على صلوات الله عليهما فركبت السفينة معه حتى مدينة القلزم ومن هناك سرنا إلى مصر فى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (۱۰۴۹) وأنا بمصر جاء الخبر أن ملك حلب قد شق عصا الطاعة على السلطان وكان تابعا له وكان آباؤه ملوكا على حلب وكان للسلطان خادم اسمه عمدة الدولة هو أمير المطالبين وكان عظيم الجاه والمال ويسمى مطالبا من يبحث عن تلال مصر عن الكنوز والدفائن ويأتى لهذا الأمر رجال من المغرب وأديار مصر والشام ويتحمل

(۱۱۳)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۲)، الشام (۳)، الحج (۳)، الهلاك (۱)، الصّلاة (۱)، السفينة (۲)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۸۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۴

كل منهم المشاق وينفق المال الكثير فى تلال مصر ومحاجرها وكثيرا ما لا يجدون الدفائن والكنوز وكثيرا ما ينفقون المال ولا يهتدون إلى شىء منها فإنهم يقولون إن أموال فرعون مدفونة فى هذه المواضع ويأخذ السلطان خمس ما يكشفه المطالب والباقى له قصارى القول إن السلطان بعث هذا الخادم إلى حلب وأمده بقوة ليشد أزره وأعطاه كل ما ينبغى للملوك من الدهاليز والسرر فلما بلغ حلب وقاتل وقتل وكانت أمواله من الكثرة بحيث استغرق نقلها من خزائنه إلى خزائن السلطان شهرين وكان من جملتها ثلاثمائة جارية أكثرهن كالبدور وبعض سراريه وقد أمر السلطان بأن يكن مخيرات فمن رغبن فى الزواج منهن زوجهن ومن لم يردن أعدن إلى بيوتهن وصرفت إليهن أموالهن كاملة فلم تجبر واحدة منهن على شىء ولما قتل عمدة الدولة خاف ملك حلب أن يرسل له السلطان جيشا فبادر بإرسال ابنه وهو فى السابعة من عمره مع زوجه ومعهما كثير من التحف والهدايا للسلطان وذلك ليعتذرا عما فعل فلما جاءا مكثا ما يقرب من شهرين خارج مصر ولم يؤذن لهما بالدخول ولم تقبل تحفهما إلى أن شفع لهما الأئمة والقضاة عند السلطان وتوسلوا اليه أن يقابلهما ففعل ثم رجعا بالتشريف والخلع ومن جملة ما رأيت فى مصر أنه إذا أراد أحدهم غرس حديقة يستطيع ذلك فى أى فصل من فصول السنة فإنه يحصل دائما على الشجر الذى يريد

(۱۱۴)

مفاتيح البحث: القتل (۲)، الخوف (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۰۸۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۵

فيزرعه مثمرا أو بغير ثمر وهناك تجار لذلك يقدمون كل ما يطلب منهم فقد زرعوا الأشجار فى أصص ووضعوها فوق الأسطح وكثير من سقوف بيوتهم حدائق أكثرها مثمر من النارنج والترنج والرمان والتفاح والسفرجل والورد والريحان والزهر فإذا اشترى أحدهم شجرا حمل الحمالون الأصص بالشجر بعد شدها على لوح من خشب ونقلوها إلى حيث يشاء ثم يحفر الزراع الأرض لغرس الشجر إما بكسر الأصص أو بنزع الشجر منها من غير أن يضار الشجر بهذا ولم أر هذا النظام فى أى مكان آخر كما أنى لم أسمع به والحق أنه نظام جميل جدا العودة إلى خراسان عن طريق الصعيد الأعلى وبلاد العرب والعراق والآن أعود إلى وطنى من مصر عن طريق مكة حرسها الله تعالى من الآفات أقول أديت صلاة العيد فى القاهرة وغادرت مصر فى سفينة يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (۱۰ ابريل ۱۰۵۰) واتجهنا نحو الصعيد الأعلى وهو ولاية مصرية فى الجنوب يأتى منها ماء النيل إلى مصر وأكثر رغدها منه وهناك على ضفتى النيل كثير من المدن والقرى يطول وصفها وقد بلغنا مدينة تسمى أسيوط يزرع فيها

الأفيون وهو الخشخاش وحبه أسود حين تنمو الشجرة تكسر ويربط كيس فى موضع الكسر فيخرج منه عصير يشبه اللبن فيجمعونه ويحفظونه وهو الأفيون وبذور هذا الخشخاش صغيرة مثل الكمون وينسجون فى أسيوط عمائم من صوف

(۱۱۵)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۱)، شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، خراسان (۱)، الصّلاة (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۰۸۵

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۱۶

الخراف لا مثيل لها فى العالم والصوف الدقيق الذى يصدر إلى بلاد العجم والمسمى الصوف المصرى كله من الصعيد الأعلى لأنهم لا ينتجون الصوف بمدينة مصر نفسها وقد رأيت فى أسيوط فوطة من صوف الغنم لم أر مثلها فى لهاور أو ملتان وهى من الرقة بحيث تحسبها حريرا ومن هناك بلغنا مدينة تسمى قوص رأيت فيها أبنية عظيمة من الحجارة تبعث على العجب فى نفس من يراها وهى مدينة قديمة محاطة بسور من الحجر وأكثر أبنيتها من الحجارة الكبيرة التى يزن الواحد منها عشرين أو ثلاثين ألف من والعجيب أنه ليس على مسافة عشرة أو خمسة عشر فرسخا منها جبل أو محجر فمن أين وكيف نقلوا هذه الحجارة ومن قوص بلغت مدينة تسمى إخميم وهى مدينة واسعة عامرة رجالها أشداء لها سور حصين وبها نخل وبساتين كثيرة وقد أقمت بها عشرين يوما وفى هذه الجهة طريقان أحدهما صحراوى لا ماء فيه والثانى طريق النيل وقد ترددنا أى الطريقين نسلك وأخيرا سرنا فى طريق النيل وبلغنا مدينة أسوان عند الجانب الجنوبى من أسوان جبل يخرج من وسطه النيل ويقال إن السفن لا تستطيع المضى فى النيل وراء هذا الجبل لأن الماء هناك ينحدر من شلالات عظيمة وعلى مسافة أربعة فراسخ من هذه المدينة طريق ولاية النوبة وهى ولاية أهلها جميعا نصارى ويرسل ملوكها من قديم الهدايا لسلطان مصر وبين البلدين عهود ومواثيق فلا يذهب جيش السلطان هناك ولا يؤذى أهلها ومدينة أسوان محصنة جدا بحيث لا يستطيع أحد أن يقصدها من النوبة وبها جيش دائم للمحافظة عليها وعلى ولايتها ويقابل المدينة جزيرة وسط النيل كأنها حديقة فيها نخل وزيتون وأشجار أخرى

(۱۱۶)

مفاتيح البحث: الوسعة (۱)

صفحه ۰۸۶

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۱۷

وزرع كثير ويروى زرعها بالسواقى وقد لبثت بها واحدا وعشرين يوما وكان أمامنا حتى شاطئ البحر صحراء فسيحة طولها أكثر من مائتى فرسخ وكان حينذاك الموسم الذى يعود فيه الحجاج على الجمال فانتظرناهم لنستأجرها ونذهب بها وهى راجعة وكنت عرفت وأنا فى أسوان رجلا تقيا صالحا يعرف شيئا من علم المنطق اسمه عبد الله محمد بن فليج وقد عاوننى فى اكتراء الجمل واختيار الرفيق وغير ذلك وقد استأجرت جملا بدينار ونصف دينار ورحلت عن هذا البلد فى الخامس من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (۲۹ يوليو ۱۰۵۰) وكان الطريق يتجه نحو الجنوب بعد ثمانية فراسخ من رحلتنا بلغنا جهة تسمى ضيقة وهى واد فى الصحراء على جانبيه حائطان من الجبال وسعته مائة ذراع وقد حفر فيه بئر يخرج منه ماء كثير ولكنه ليس عذبا وبعد أن تركنا ضيقة سرنا خمسة أيام فى صحراء لا ماء فيها وكان مع كل منا قربة ماء ثم بلغنا منزلا يسمى الحوض وهو جبل حجرى فيه عينان يتفجر منهما ماء عذب يستقر فى حفرة ولم يكن بد من أن يذهب رجل إلى حيث العينان ليحضر الماء لشرب الإبل التى مضى عليها سبعة أيام لم تشرب فيها ولم تأكل إذ أن علفها قد نفد كله وكانت تستريح مرة فى الأربع وعشرين ساعة وذلك من الوقت الذى تشتد فيه حرارة الشمس حتى

صلاة العصر وتسير بقية الوقت والمنازل التى ينزلون بها معلومة فليس ممكنا النزول فى أى مكان لتعذر وجود ما توقد به النار أما فى هذه المنازل فإنهم يجدون بعر الإبل فيتخذونه وقودا يطبخون عليه ما تيسر وكأن الإبل تعلم أنها إن أبطأت ماتت عطشا فهى تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد متجهة من تلقاء نفسها ناحية المشرق فى هذه الصحارى حيث لا أثر أو علامة تدل على الطريق وهناك أمكنة يقل فيها الماء مسافة خمسة عشر فرسخا ويكون ملحا وأمكنة لا يوجد فيها ماء قط مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخا

(۱۱۷)

مفاتيح البحث: يوم عرفة (۱)، شهر ربيع الأول (۱)، الإختيار، الخيار (۱)، الصّلاة (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۸۷

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۱۸

وفى العشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أغسطس ۱۰۵۰ بلغنا مدينة عيذاب ومن أسوان حتى عيذاب التى بلغناها بعد خمسة عشر يوما مائتا فرسخ بالتحديد ومدينة عيذاب هذه تقع على شاطئ البحر وبها مسجد جمعة وسكانها خمسمائة وهى تابعة لسلطان مصر وفيها تحصل المكوس على ما فى السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن ومنها تنقل البضائع على الإبل إلى أسوان فى هذه الصحراء التى اجتزناها ومن هناك تنقل بالسفن إلى مصر فى النيل وعلى يمين عيذاب ناحية القبلة جبل من خلفه صحراء عظيمة بها مراع واسعة وخلق كثيرون يسمون البجة وهم قوم لا ـ دين لهم ولا ـ ملة لا يؤمنون بنبى أو إمام وذلك لبعدهم عن العمران وهم يسكنون الصحراء طولها أكثر من ألف فرسخ وعرضها ثلاثمائة فرسخ وليس فى هذه المسافة الشاسعة سوى مدينتين صغيرتين تسمى الأولى بحر النعام والثانية عيذاب وتمتد هذه الصحراء من مصر إلى الحبشة وذلك من الشمال إلى الجنوب وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب إلى الشرق ويقيم بها البجة وهم ليسوا أشرار فهم لا يسرقون ولا يغيرون بل يشتغلون بتربية ماشيتهم ويسرق المسلمون وغيرهم أبناءهم ويحملونهم إلى المدن الإسلامية ليبيعوهم فيها وبحر القلزم هذا خليج يتفرع من المحيط عند ولاية عدن ويسير شمالا حتى مدينة القلزم الصغيرة ويسمى هذا البحر بكل مدينة تقع عليه فمرة يسمى القلزم ومرة عيذاب ومرة بحر النعام وقيل إن به أكثر من ثلاثمائة جزيرة تأتى السفن منها محملة بالزيت والكشك وقيل إن هناك بقرا وخرافا كثيرة والناس هناك مسلمون بعضهم تابع لمصر وبعضهم لليمن وليس

(۱۱۸)

مفاتيح البحث: شهر ربيع الأول (۱)، السجود (۱)، الوسعة (۱)

صفحه ۰۸۸

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۱۹

فى مدينة عيذاب الصغيرة غير ماء المطر فلا بئر فيها ولا عين فإذا لم تمطر السماء أحضر البجة الماء وباعوه وقد بقينا هناك ثلاثة أشهر وكنا نشترى قربة الماء بدرهم أو بدرهمين وسبب بقائنا هذه المدة أن السفينة لم تقلع إذ كانت الريح شمالية وكان ينبغى لرحلتنا ريح الجنوب وحينما رآنى الناس طلبوا إلى أن أكون خطيبهم فلم أردهم وخطبت لهم تلك المدة حتى أتى الموسم ثم سارت السفينة شمالا إلى أن بلغنا جدة ويقال إن الجمال النجيبة لا توجد فى مكان آخر غير هذه الصحراء وهى تنقل منها إلى مصر والحجاز وقد حكى لى رجل أعتمد على قوله من مدينة عيذاب قال كنت فى سفينة محملة بالجمال لأمير مكة فمات جمل منها فرموه فى البحر فابتلعته سمكة فى الحال ولم يبق خارج فمها غير رجله فجاءت سمكة أخرى وابتلعت هذه السمكة بالجمل ولم يظهر عليها أى أثر من ذلك ويسمى هذا السمك بالقرش ورأيت فى هذه المدينة جلد سمك يسمونه فى خراسان الشفق ويظنون انه نوع من الضب ولكنى

رأيت فى عيذاب أنه سمك وله كل ما للسمك من زعانف حينما كنت فى أسوان كان لى صديق ذكرت اسمه قبلا وهو أبو عبد الله محمد بن فليج فلما ذهبت من هناك إلى عيذاب كتب من إخلاصه لى لوكيله بها كتابا يقول فيه إعط ناصرا ما يريد وهو يعطيك صكا للحساب فلما بقيت بها ثلاثة أشهر وأنفقت ما معى اضطررت أن أعطى هذه الورقة للوكيل فأكرمنى وقال إن له والله لدى أشياء كثيرة وإنى معطيك ما تريد وأعطنى صكا به فتعجبت من حسن صنع هذا الرجل محمد ابن فليج الذى أظهر كل هذه الطيبة بغير سابقة منى اليه ولو كنت رجلا دنيئا واستحللت لنفسى أن آخذ لأخذت بهذه الورقة أشياء كثيرة وقد أخذت

(۱۱۹)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، أبو عبد الله (۱)، خراسان (۱)، السفينة (۳)

صفحه ۰۸۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۰

منه مائة من من الدقيق وهو مقدار كبير هناك وأعطيته صكا به أرسله إلى أسوان وقبل رحيلى من عيذاب ورد خطاب من محمد فليج لوكيله يقول فيه أعط ناصرا كل ما يريد مهما تكن قيمته مما لى عندك وإذا أراد فأعطه من مالك وأنا أعطيك عوضا عنه فقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه المؤمن لا ـ يكون محتشما ولا مغتنما وقد كتبت هذا الخبر حتى يعرف القارئ أن الرجل يعتمد على الرجل وان الكرم فى كل مكان وأن أهله كانوا وسيكونون دائما وصف بلاد العرب جدة وجدة مدينة كبيرة لها سور حصين تقع على شاطئ البحر وبها خمسة آلاف رجل وهى شمال البحر (الأحمر) وفيها أسواق جميلة وقبلة مسجدها الجامع ناحية المشرق وليس بخارجها عمارات أبدا عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها بوابتان إحداهما شرقية تؤدى إلى مكة والثانية غربية تؤدى إلى البحر ويبلغ السائر من جدة جنوبا على شاطئ البحر اليمن ومدينة صعدة والمسافة إلى هناك خمسون فرسخا وإذا سار شمالا بلغ الجار وهى تابعة للحجاز وليس فى جدة شجر ولا زرع وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى وبينها وبين مكة إثنا عشر فرسخا وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالى بن أبى الفتوح الذى هو أمير المدينة أيضا وقد ذهبت إلى أمير جدة فأكرم وفادتى وأعفانى مما كان يجب على

(۱۲۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۱)، مدينة مكة المكرمة (۳)، السجود (۳)، الكرم، الكرامة (۱)

صفحه ۰۹۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۱

من المكس ولم يطلبه وهكذا خرجت من البوابة فى سلام وقد كتب إلى مكة يقول عنى هذا رجل عالم فلا يجوز أن يؤخذ منه وفى يوم الجمعة بعد صلاة العصر قمت من جدة فبلغت باب مكة يوم الأحد سلخ جمادى الثانى وكان قد حضر إلى مكة للعمرة خلق كثيرون من نواحى الحجاز واليمن فى أول رجب وهو موسم عظيم مثل عيد رمضان وهم يحضرون وقت الحج ولأن طريقهم قريب وسهل يأتون إلى مكة ثلاث مرات كل سنة وصف مكة تقع مكة بين جبال عالية ولا ترى من بعيد من أى جانب يقصدها السائر وأقرب جبل منها هو جبل أبى قبيس وهو مستدير كالقبة لو رمى سهم من أسفله لبلغ قمته وهو شرقى مكة فترى الشمس من داخل المسجد الحرام وهى تشرق من فوقه فى شهر دى (ديسمبر) وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال إن إبراهيم عليه السلام رفعه عليه وتشغل هذه المدينة الوادى الذى بين الجبال والذى لا تزيد مساحته عن رمية سهمين فى مثلها والمسجد الحرام وسط هذا الوادى ومن

حوله مكة والشوارع والأسواق وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوى وضعت عليه بوابة وليس بمكة شجر أبدا إلا عند باب الغربى للمسجد الحرام المسمى باب إبراهيم حيث يوجد كثير من الشجر الكبير الذى يرتفع على حافة البئر وعند الجانب الشرقى للمسجد سوق تمتد من الجنوب إلى الشمال وفى

(۱۲۱)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، شهر جمادى الثانية (۱)، مدينة مكة المكرمة (۹)، شهر رجب المرجب (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، مسجد الحرام (۳)، الحج (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۱)، الجواز (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۹۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۲

أولها ناحية الجنوب جبل أبى قبيس الذى تقع الصفا على سفحه وتبدو على هذا السفح درجات كبيرة من الحجارة المستوية التى يصعد الحجاج عليها ويدعون ربهم والمروة فى نهاية السوق شمالى الجبل وهى أقل ارتفاعا فى وسط مكة وقد شيدت عليها منازل كثيرة وما يسمى السعى بين الصفا والمروة هو المسعى فى هذه السوق من أولها لآخرها ويجد من يرغب العمرة وهو آت من بعيد أبراجا ومساجد على مسافة نصف فرسخ حول مكة فيحرم منها للعمرة والإحرام هو نزع الملابس المخيطة من على الجسد وشد المحرم وسطه بإزار ولف جسده بإزار أو وشاح آخر وصياحه بصوت عال أن لبيك اللهم لبيك ثم يسير نحو مكة فإذا أراد حاج أن يعتمر وهو بمكة فإنه يذهب إلى تلك الأبراج ويرتدى ثوب الإحرام ويهتف لبيك ويدخل مكة بنية العمرة فحين يبلغ مكة يدخل المسجد الحرام ويسير نحو الكعبة ثم يطوف ناحية اليمين بحيث تكون هذه على يساره ويتوجه إلى الركن الذى به الحجر الأسود فيقبله ثم يمضى ويستمر فى الطواف حتى يعود إلى الحجر الأسود مرة أخرى فيقبله وبهذا يكون قد أتم طوفة واحدة وعلى هذا النحو يطوف سبع مرات ثلاثا منها بسرعة وأربعا على مهل وبعد إتمام الطواف يتوجه نحو مقام إبراهيم عليه السلام وهو أمام الكعبة فيقف خلفه بحيث يكون المقام بينه وبين الكعبة وهناك يصلى ركعتين هما صلاة الطواف ثم يذهب إلى حيث بئر زمزم فيشرب من مائها أو يمسح بها وجهه ثم يخرج من المسجد الحرام من باب الصفا الذى سمى كذلك لأن جبل الصفا يقع خارجه فيصعد على عتبات الصفا موليا وجهه شطر مكة ويدعو بالدعاء المعلوم ثم ينزل ويتجه ناحية المروة مارا بالسوق التى يسير فيها من الجنوب إلى الشمال وعليه أن ينظر إلى أبواب الحرام حين يمر بها وأن يحث الخطى فى المسافة التى سعاها الرسول عليه الصلاة والسلام مسرعا والتى أمر الناس باجتيازها مسرعين وهى خمسون خطوة وعلى طرفى هذا الموضع (الذى يسار فيه بسرعة) أربع منارات على الجانبين فإذا بلغ الحاج الآتى من

(۱۲۲)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، مدينة مكة المكرمة (۷)، الحجر الأسود (۲)، مسجد الحرام (۲)، الطواف، الطوف، الطائفة (۵)، الركوع، الركعة (۱)، الصّلاة (۲)، الحج (۱)

صفحه ۰۹۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۳

الصفا ما بين المنارتين الأولبين أسرع حتى يصل إلى ما بين المنارتين الثانيتين ثم يسير الهوينى حتى يبلغ المروة فيصعد عتباتها ويدعو ذلك الدعاء المعلوم وهكذا يكرر هذا السعى فى السوق بحيث يسعى من الصفا إلى المروة أربع مرات ومن المروة إلى الصفا ثلاث مرات فيكون قد سعى فى هذه السوق سبع مرات وعندما ينزل الحاج من جبل المروة يجد سوقا فيها عشرون دكانا متقابلة يشغلها

جميعا حجامون لحلق شعر الرأس وحين يتم الحاج شعائر العمرة ويخرج من المسجد الحرام يدخل السوق الكبيرة التى تقع ناحية الشرق والمسماة سوق العطارين وهى سوق جميلة البنايات وكلها عطارون وبمكة حمامان بلاطهما من الحجر الأخضر السنان وقدرت أن سكانها القاطنين بها لا- يزيدون على ألفين والباقى ويقربون من الخمسمائة من الغرباء والمجاورين وفى ذلك الوقت كان بمكة قحط فكان الستة عشر منا من القمح بدينار مغربى وقد هاجر منها كثيرون وقد كان لأهالى كل مدينة من خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها منازل بمكة ولكن أغلبها كان خرابا وقتذاك وقد بنى بها خلفاء بغداد عمارات كثيرة وأبنية جميلة وكان بعضها وأنا هناك خربا والبعض الآخر اشتراه الناس (أصبح ملكا خاصا) وماء آبار مكة مالح ومر لا يساغ شربه ولكن بها كثيرا من الأحواض والمصانع الكبيرة بلغت تكاليف الواحد منها أكثر من عشرة آلاف دينار وهى تملأ من ماء الأمطار الذى يتدفق من الأودية وكانت فارغة ونحن هناك وقد أنشأ ابن أحد أمراء عدن مجرى للماء تحت الأرض وأنفق عليه أموالا كثيرة يسقى منه ما على حافتيه من شجر فى عرفات وقد حبس هذا الماء هناك حيث غرست الحدائق فلا يصل (قرب) مكة منه إلا القليل لأن القناة لا تبلغها وهذا القليل يجمع فى حوض خارج مكة فيأخذ منه

(۱۲۳)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۱)، مدينة مكة المكرمة (۵)، مدينة بغداد (۱)، مسجد الحرام (۱)، خراسان (۱)، الحج (۲)

صفحه ۹۳۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۴

السقاءون ويذهبون به إليها ويبيعونه وعلى مسافة نصف فرسخ من طريق برقة بئر يسمى بئر الزاهد عنده مسجد جميل وماء هذا البئر عذب ويحمله السقاءون إلى مكة لبيعه وجو مكة حار جدا وفى آخر بهن القديم (يناير فبراير) رأيت بها الخيار والأترنج والباذنجان وكانت كلها طازجة هذه هى المرة الرابعة التى أزور بها مكة وقد مكثت بها مجاورا من غرة رجب ۴۴۲ (۱۰ نوفمبر ۱۰۵۰) إلى العشرين من ذى الحجة (۳ مايو ۱۰۵۱) وقد أثمر بها العنب فى الخامس عشر من فروردين (مارس أبريل) فأحضر من السواد إلى مكة وبيع فى السوق وكان البطيخ كثيرا فى أول اردبهشت (ابريل مايو) وكانت الفاكهة متوفرة طول الشتاء فلم تنقطع قط وصف بلاد العرب واليمن وحين يسير المسافر مرحلة واحدة جنوبى مكة يبلغ ولاية اليمن التى تمتد حتى شاطئ البحر والحجاز واليمن متجاوران ولغتهما العربية وفى الاصطلاح يقال لليمن حمير وللحجاز العرب ويحيط البحر البلدين من ثلاث جهات فهما شبه جزيرة يحدها شرقا بحر البصرة وغربا بحر القلزم الذى تقدم أنه خليج وجنوبا البحر المحيط وطول شبه الجزيرة هذه التى هى اليمن والحجاز من الكوفة إلى عدن أى من الشمال إلى الجنوب خمسمائة فرسخ

(۱۲۴)

مفاتيح البحث: شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۵)، مدينة الكوفة (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، مدينة البصرة (۱)، السجود (۱)

صفحه ۹۴۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۵

وعرضها من عمان إلى الجار أى من الشرق إلى الغرب أربعمائة فرسخ وبلاد العرب من الكوفة إلى مكة وبلاد اليمن من مكة إلى عدن وبلاد العرب قليلة الخصب ويسكن أهلها الصحراء ويملكون الدواب والمواشى ويقيمون فى الخيام وبلاد حمير (اليمن) ثلاثة أقسام قسم منها يسمى تهامة وهو يمتد على ساحل القلزم الذى هو غربى تهامة وبه كثير من المدن والخصب مثل صعدة وزبيد وصنعاء

وغيرها وهذه المدن مشيدة فى الصحراء وأمير هذا القسم عبد حبشى من أبناء شاددل والقسم الثانى من حمير جبلى يسمى نجدا وبه أماكن مقفرة وأخرى شديدة البرد كما أن به أودية ضيقة وقلاعا محكمة والقسم الثالث ناحية المشرق وبه مدن كثيرة منها نجران وعثر وبيشة وغيرها وبهذا القسم طوائف كثيرة لكل منها ملك أو رئيس فليس له حاكم واحد فإن سكانه عتاة وأغلبهم لصوص وسفاكو دماء وهم كثيرون ومن كل جنس ومساحة هذا القسم مائتا فرسخ فى مائة وخمسين وفى اليمن قصر غمدان بمدينة اسمها صنعاء وقد بقى من أطلال

(۱۲۵)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۲)، مدينة الكوفة (۱)

صفحه ۹۵

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۲۶

كالتل فى وسطها ويقال هناك إن رب هذا القصر كان ملكا على العالم كله كما يقال إن بهذا التل كنوزا ودفائن كثيرة ولكن أحدا لا يجرؤ على مد يده إليها سلطانا كان أو من الرعية ويصنعون بصنعاء العقيق وهو حجارة تقطع من الجبل وتسوى على النار فى بواتق محاطة بالرمل ثم تعرض هكذا وسط الرمل لحرارة الشمس وبعد هذا يصقلونها بعجلة وقد رأيت فى مصر سيفا أحضر للسلطان من اليمن مقبضه قطعة واحدة من العقيق الأحمر كأنه ياقوت وصف المسجد الحرام والكعبة قلنا إن الكعبة تقوم وسط المسجد الحرام وإن المسجد الحرام يقوم وسط مكة والمسجد ممتد طولا من الشرق إلى الغرب وعرضا من الشمال إلى الجنوب وسوره ليس قائم الزوايا بل أركانه مقوسة تميل إلى الاستدارة وذلك حتى تكون وجوه جميع المصلين شطر الكعبة فى أى جهة كانوا يصلون بالمسجد وأقصى طول للمسجد من باب إبراهيم إلى باب بنى هاشم أربع وعشرون وأربعمائة ذراع وعرضه من باب الندوة وهو جهة الشمال حتى باب الصفا وهو جهة الجنوب وأقصى اتساعه أربع وثلاثمائة ذراع وبسبب استدارته تبدو ساحة المسجد أضيق فى جهة وأوسع فى جهة أخرى وحوله ثلاثة أروقة رفعت أسقفها على أعمدة من الرخام ووسط هذه الأروقة مربع وعلى طول السقف من ناحية ساحة المسجد خمسة وأربعون طاقا وعلى عرضه ثلاثة وعشرون وعدد الأعمدة الرخامية التى فيه أربعة وثمانون وأربعمائة عمود قيل إنها كلها أرسلت من الشام عن طريق البحر بأمر خلفاء بغداد وقيل أنه حين بلغت هذه العمد مكة بلغ ثمن الحبال التى شدت بها إلى السفن والعجلات والتى قطعت قطعا ستين ألف دينار مغربى ومن

(۱۲۶)

مفاتيح البحث: المسجد الأقصى (۱)، مدينة مكة المكرمة (۲)، بنو هاشم (۱)، مدينة بغداد (۱)، مسجد الحرام (۳)، الشام (۱)، السجود (۴)، الوسعة (۱)

صفحه ۹۶

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۲۷

هذه العمد عمود من الرخام الأحمر وضع عند باب الندوة قيل إنه اشترى بوزنه ذهبا ويقدر وزنه بثلاثة آلاف من وللمسجد الحرام ثمانية عشر بابا عليها طيقان مقامة على عمد من الرخام وضعت بحيث لا تعوق فتح الأبواب وعلى الجانب الشرقى أربعة أبواب هى من الركن الشمالى باب النبى وبه ثلاثة طيقان مقفلة وعلى هذا الجانب نفسه عند الطرف الجنوبى (للباب الأول) باب آخر يسمى باب النبى أيضا وبين هذين البابين أكثر من مائة ذراع ولهذا الباب طاقان وفى خارجه سوق العطارين وقد كان منزل النبى عليه السلام فى هذه السوق وكان يدخل من هذا الباب للصلاة فى المسجد فإذا جاوز السائر هذا الباب وجد على السور الشرقى أيضا باب على عليه

السلام وهو الباب الذى كان يدخل منه أمير المؤمنين على عليه السلام للصلاة بالمسجد وله ثلاثة طيقان فإذا جاوزه يجد عن ركن المسجد منارة أخرى يبدأ منها السعى وهى غير المنارة التى بباب بنى هاشم ومن عندها ينبغى الإسراع فى السعى وهى إحدى المنارات الأربع المذكورة (المنارات الأربع فى طرق السعى) وعلى الحائط الجنوبى الذى هو طول المسجد سبعة أبواب أولها على الركن المقوس واسمه باب الدقاقين وله طاقان وغربيه بقليل باب آخر ذو طاقين يقال له باب الفسانين وبعده بقليل باب الصفا وله خمسة طيقان أكبرها الطاق الأوسط وعلى كل من جانبيه طاقان صغيران وكان رسول الله عليه السلام يخرج من هذا الباب ويذهب إلى الصفا ويدعو وعتبة

(۱۲۷)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، كتاب فتح الأبواب للسيد ابن طاووس (۱)، بنو هاشم (۱)، مسجد الحرام (۱)، السجود (۴)، الصّلاة (۲)

صفحه ۰۹۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۸

الطاق الأوسط مكونة من حجر أبيض كبير وكان بها حجر أسود وطئه الرسول عليه السلام بقدمه فارتسم نقش القدم المبارك عليه وقد نزع هذا الجزء من الحجر الأسود وركب فى الحجر الأبيض بحيث تكون أطراف أصابع القدم داخل المسجد ويضع بعض الحجاج وجوههم على هذا الحجر وبعضهم يضعون أقدامهم تبركا وأعرف أن الأفضل أن أضع وجهى وبعد هذا الباب بقليل ناحية المغرب باب السطوى وله طاقان ثم من بعده بقليل باب التمارين وله طاقان ثم باب المعامل وله طاقان ويقابله بيت أبى جهل وهو الآن مرحاض وعلى الحائط الغربى وهى عرض المسجد ثلاثة أبواب الأول عند الركن الجنوبى واسمه باب عروة وله طاقان وفى الوسط باب إبراهيم وله ثلاثة طيقا وعلى الحائط الشمالى وهى طول المسجد أربعة أبواب ففى الركن الغربى باب الوسيط وله طاق واحد ومن بعده ناحية المشرق باب العجلة وله طاق واحد ومن بعده فى الوسط باب الندوة وله طاقان ثم باب المشاورة وله طاق واحد وعند زاوية المسجد فى الشمال الشرقى باب يسمى باب بنى شيبة والكعبة فى وسط ساحة المسجد وهى مستطيل طوله من الشمال إلى

(۱۲۸)

مفاتيح البحث: بنو شيبة (۱)، الحجر الأسود (۱)، السجود (۵)

صفحه ۰۹۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۹

الجنوب ثلاثون ذراعا وعرضه من الشرق إلى الغرب ست عشرة ذراعا وبابها شرقى بحيث يكون الركن العراقى على يمين الداخل وركن الحجر الأسود على يساره ويسمى ركنها الجنوبى الغربى بالركن اليمانى وركنها الشمالى الغربى بالركن الشامى والحجر الأسود مركب على زاوية الحائط فى حجر كبير بحيث إذا وقف رجل طويل القامة يكون مقابلا لصدره وطول هذا الحجر شبر أربعة أصابع وعرضه ثمانية أصابع وهو مستدير الشكل وبينه وبين باب الكعبة أربع أذرع ويسمى ما بينهما الملتزم ويرتفع باب الكعبة عن الأرض أربع أذرع بحيث إذا وقف رجل مديد القامة على الأرض يصل إلى عتبته وقد صنع سلم من الخشب يضعونه وقت الحاجة أمام الباب فيصعد عليه الناس ويدخلون الكعبة ويسع عرض هذا السلم عشرة رجال يصعدون وينزلون بعضهم بجانب بعض وأرض الكعبة عالية بهذا المقدار وصف باب الكعبة وهو باب من خشب الساج له مصراعان ارتفاعه ست أذرع ونصف

(۱۲۹)

مفاتيح البحث: الركن اليمانى (١)، الحجر الأسود (٢)، دولة العراق (١)، الحاجة، الإحتياج (١)

صفحه ٠٩٩

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ١٣٠

ذراع وعرض كل من مصراعيه ذراع وثلاثة أرباع الذراع فعرضهما معا ثلاث أذرع ونصف وعلى صدر الباب وأعلاه كتابة كما أن عليه دوائر زخرفية من فضة وكتابات منقوشة بالذهب والفضة وقد كتبت عليه هذه الآية حتى آخرها * (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) * وله حلقتان كبيرتان من الفضة أرسلتا من غزنين وقد ركبتا فى مصراعيه بحيث لا تصل إليهما يد إنسان ومن تحتها حلقتان أخريان من الفضة أصغر حجما وموضوعتان بحيث تصل اليد إليهما وفيهما قفل كبير من الفضة أيضا يقفل به الباب ولا يفتح ما لم ينزع القفل وصف الكعبة من الداخل يبلغ سمك حائطها ستة أشبار وأرضها مغطاة بالرخام الأبيض وبالكعبة ثلاث خلوات صغيرة كأنها دكاكين إحداها تقابل الباب والأخريان على الجانب الشمالى والأعمدة التى بالكعبة والتى أقيم عليها السقف كلها من خشب الساج المربع إلا عمودا واحدا مدورا وفى الجانب الشمالى قطعة مستطيلة من الرخام الأحمر يقال إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يصلى عليها ويجتهد كل من يعرف ذلك أن يصلى هناك وقد غطيت حوائط الكعبة بألواح الرخام الملون وعلى الجانب الغربى منها ستة محاريب من الفضة ألصقت بالحائط بمسامير ويبلغ ارتفاع كل منها قامة الرجل وهى مزينة بنقوش كثيرة من الذهب والفضة وهى مرتفعة عن الأرض وحوائط الكعبة الأربعة حتى أربعة أذرع من الأرض خالية من النقوش وأما بعد ذلك إلى السقف فمزينة بالرخام المنقوش والموشى أغلبه بالذهب

(١٣٠)

مفاتيح البحث: الصّلاة (١)

صفحه ١٠٠

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ١٣١

وفوق كل من الخلوات الثلاث التى ذكرتها والتى توجد إحداها فى الركن العراقى والأخرى فى الركن الشامى والثالثة فى الركن اليمانى فوق كل ركن منها لوحان من الخشب مثبتان على الحائط بمسامير من فضة وهى ألواح من خشب سفينة نوح عليه السلام طول كل منها خمس أذرع وعرضه ذراع واحد وقد أسدل على الخلوة التى خلف الحجر الأسود ستار من الديباج الأحمر وحين يدخل السائر فى الكعبة يجد على اليد اليمنى زاوية مربعة بمقدار ثلاث أذرع فى مثلها وهناك سلم يؤدى إلى سطح الكعبة عليه باب من الفضة له مصراع واحد يسمى باب الرحمة وعليه قفل من الفضة فإذا صار فوق سطح الكعبة يجد بابا آخر مثل الباب السابق منقوش بالفضة على وجهيه وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحرير الذى يحجبه عن الأنظار وعلى حائط الكعبة الأمامى فوق العمد الخشبية كتابة ذهبية فيها اسم العزيز بالله سلطان مصر الذى استولى على مكة من الخلفاء العباسين وعلى الحائط أربعة ألواح أخرى كبيرة من الفضة متقابلة ومثبتة بمسامير من فضة وعلى كل لوح منها اسم السلطان الذى أرسله من سلاطين مصر وكان كل منهم يرسل لوحا فى عهده وبين الأعمدة ثلاثة قناديل فضية معلقة وبلاط سطح الكعبة من الرخام اليمنى الذى يلمع كأنه البلور وفى أركانها أربع روازن على كل منها لوح من الزجاج لينفذ منه النور ولمنع تسرب المطر والميزاب فى وسط الحائط الشمالى وطوله ثلاث أذرع وكله مطلى بالذهب والكسوة التى تغطى بها الكعبة بيضاء وقد طرزت فى موضعين عرض كل منها ذراع وبينهما عشر أذرع تقريبا ومن فوقهما وتحتهما عشر أذرع أيضا بحيث ينقسم ارتفاع الكعبة إلى ثلاثة أقسام كل منها عشر أذرع بواسطة طرازى الكسوة وعلى جوانب هذه الكسوة الأربعة نسجت محاريب

(١٣١)

مفاتيح البحث: النبى نوح عليه السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، الركن اليمانى (١)، الحجر الأسود (١)، العزّة (١)، دولة العراق (١)، السفينة (١)

صفحه ١٠١

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ١٣٢

ملونة مزينة بخيوط من ذهب وعلى كل ناحية ثلاثة محاريب محراب كبير فى الوسط ومحرابان صغيران على جانبيه فعلى النواحى الأربعة إثنا عشر محرابا وخارج الكعبة حائط علوه ذراع ونصف وتتصل نهايتاه بركنى الكعبة لأن هذا الحائط مقوس كنصف الدائرة وهو يبعد من منتصفه عن الكعبة مقدار خمس عشرة ذراعا وأرض هذا الموضع مبلطة بالرخام الملون المنقوش ويسمى الحجر وبه يصب ماء الميزاب الذى فوق الكعبة وقد وضع تحته قطعة من الحجر الأخضر على شكل محراب يسقط عليها الماء وهى كبيرة بحيث يستطيع رجل أن يصلى عليها ومقام إبراهيم عليه السلام شرقى الكعبة وهو الحجر الذى به آثار قدمى إبراهيم عليه السلام وهو مركب فى حجر آخر وعليه غلاف مربع من الخشب بارتفاع قامة الرجل وهو فى غاية الدقة ووضعت عليه ألواح من الفضة وقد أحكم ربط الغلاف بالحائط بسلاسل من الجانبين وعليه قفلان وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يلمس الحجر وبين الكعبة ومقام إبراهيم ثلاثون ذراعا بئر زمزم بئر زمزم شرقى الكعبة حذاء ركن الحجر الأسود وبين زمزم والكعبة ست وأربعون ذراعا وسعة البئر ثلاث أذرع ونصف فى مثلها

(١٣٢)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (٢)، الحجر الأسود (١)

صفحه ١٠٢

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ١٣٣

وماؤها ملح ولكنه يستساغ وقد بنوا عند فوهتها خرزة من الرخام الأبيض ارتفاعه ذراعان وفى جوانب حجرة زمزم الأربعة أحواض يصب فيها الماء ويتوضأ الناس به وأرضها من الخشب المشبك ليسيل الماء الذى يراق بها وبابها ناحية المشرق وأمام البئر ناحية المشرق بناء آخر مربع عليه قبة يسمى سقاية الحاج وضع به أزيار يشرب منها الحجاج وبعد هذا البناء ناحية الشرق بناء آخر مستطيل عليه ثلاث قباب يسمى خزانة الزيت به الشمع والزيت والقناديل وحول الكعبة أعمدة يتصل بعضها بالبعض بواسطة عروق من الخشب عليها زخارف ونقوش من الفضة ومعلق بها الحلق والكلابات حتى يوضع الشمع فى هذه وتدلى المصابيح من تلك بالليل ويسمى هذا الموضع المشاعل ويفصله عن الكعبة خمسون ومائة ذراع وهى مسافة الطواف فجملة المبانى التى بساحة المسجد الحرام عدا الكعبة المعظمة شرفها الله تعالى ثلاثة هى بيت زمزم وسقاية الحاج وخزانة الزيت

(١٣٣)

مفاتيح البحث: مسجد الحرام (١)، الحلق (١)، الحج (٢)

صفحه ١٠٣

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ١٣٤

وتحت السقف المحيط بالمسجد بجانب الحائط صناديق من جميع مدن المغرب ومصر والشام والروم والعراقين وخراسان وما وراء

النهر وغيرها وعلى مسافة أربعة فراسخ شمالى مكة ناحية تسمى برقة بها أمير مكة مع جيش خاص به وهناك ماء جار وأشجار ومساحتها فرسخان طولا فى مثلهما عرضا فى هذه السنة كنت بمكة مجاورا منذ أول رجب وعادتهم أن يفتحوا باب الكعبة كل يوم فى هذا الشهر منذ شروق الشمس وصف فتح باب الكعبة امتازت قبيلة من العرب تسمى بنى شيبة بحفظ مفتاح باب الكعبة وهم خدمها وكان لهم خلع ومشاهرات من سلطان مصر ولهم رئيس بيده المفتاح وحين يجيء يصاحبه خمسة أو ستة أفراد وحين يصلون ينضم إليهم عشرة من الحجاج فيرفعون السلم الذى قدمنا وصفه ويضعونه أمام الباب فيصعد هذا الشيخ ويقف على العتبة ويصعد بعده رجلان ويرفعان الستار والديباج الأصفر يمسك كل منهما طرفا منه بحيث يحجب الشيخ وهو يفتح الباب يفتح الشيخ القفل وينزعه من الحلق بينما الحجاج وقوف أمام الكعبة فحين يفتح الباب يرفعون أيديهم بالدعاء فيعرف كل من يسمع صوتهم بمكة أن باب الكعبة قد فتح فيرفع الناس جميعا أصواتهم عالية ويدعون ربهم وتحدث جلجلة عظيمة بالبلد ثم يدخل الشيخ بينما الرجلان يمسكان الستار ويصلى ركعتين ثم يعود فيفتح الباب على مصراعيه ويقف على العتبة ويقرأ الخطبة عليهم بصوت مرتفع ويصلى على رسول الله عليه الصلوات والسلام وعلى أهل بيته ثم يقف الشيخ وأصحابه على جانبى باب الكعبة بينما يأخذ الحجاج فى الصعود ودخول الكعبة فيصلى كل منهم

(۱۳۴)

مفاتيح البحث: الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة مكة المكرمة (۴)، شهر رجب المرجب (۱)، بنو شيبة (۱)، خراسان (۱)، الشام (۱)، الركوع، الركعة (۱)، الحلق (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۲)

صفحه ۱۰۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۵

ركعتين ثم يخرج ويدوم ذلك إلى قرب منتصف النهار ويولون وجوههم أثناء صلاتهم بالكعبة نحو الباب مع جواز التوجه نحو الجوانب الأخرى وقد أحصيت الناس فى وقت كانت الكعبة ممتلئة فيه حتى لم يكن بها مكان لداخل فكانوا عشرين وسبعمائة رجل وعامة حجاج اليمن يشبهون الهنود فكل منهم يتشح بفوطه وشعورهم متدلية ولحاهم مضفرة وفى وسط كل منهم حربة قطيفية كالتى يتمنطق بها الهنود ويقال إن أصل الهنود من اليمن وأن قتالة أصلها كتارة (الحربة) ثم عربت وبفتح باب الكعبة أيام الاثنين والخميس والجمعة من أشهر شعبان ورمضان وشوال فإذا جاء ذو القعدة أغلق الباب عمرة الجعرانة على أربعة فراسخ من شمال مكة مكان يسمى الجعرانة كان به النبى عليه السلام مع جيشه فى السادس عشر من ذى القعدة فأحرم منه وجاء إلى مكة وأعتمر وهناك بئران بئر الرسول وبئر على بن أبى طالب صلوات الله عليهما وماء البئرين عذب جدا وبينهما عشر أذرع وقد اتخذت هذه العمرة النبوية سنة تؤدى فى هذا الموسم وقرب البئرين صخرة كبيرة فيها فجوات كأنها كؤوس يقال إن النبى عليه السلام عجن الدقيق فيها بيديه والذين يزورون هذا المكان يعجنون الدقيق بأيديهم بماء هذين البئرين ويتخذون من الأشجار الكثيرة هناك وقودا للخبز الذى يرسلونه إلى الأقطار تبركا وهناك أيضا صخرة كبيرة مرتفعة يقال إن بلالا الحبشى كان يقف عليها ويؤذن للصلاة ويصعد عليها الزائرون ويؤذنون وحين كنت بالجعرانة كان بها ناس كثيرون وكان بها أكثر من ألف جمل بالعمارات مما يبين كثرة الزائرين الآخرين

(۱۳۵)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، شهر ذى القعدة (۲)، مدينة مكة المكرمة (۲)، شهر رمضان المبارك (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، شهر شوال المكرم (۱)، الركوع، الركعة (۱)، الأكل (۱)، الصّلاة (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۱۰۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۶

ومن مصر إلى مكة عن الطريق الذى سرت فيه هذه المرة ثلاثمائة فرسخ ومن مكة إلى اليمن إثنا عشر فرسخا وتقع صحراء عرفات بين جبال صغيرة كالتلال ومساحتها فرسخان فى مثلهما وكان بها مسجد بناء إبراهيم عليه السلام لم يبق منه هذه الساعة غير منبر خرب من الطوب النيئ يصعد عليه الخطيب فى صلاة الظهر ويخطب ثم يؤذنون للصلاة ثم يصلون جماعة ركعتين سنة المسافرين ثم يقيمون الصلاة ويصلون جماعة ركعتين أخريين ثم يجلس الخطيب على جمل ويتجه شرقا والناس وراءه وعلى بعد فرسخ جبل حجرى صغير يسمى جبل الرحمة هناك يقفون ويدعون حتى وقت الغروب وقد أوصل ابن شاد دل الذى كان أميرا لعدن الماء إلى جبل الرحمة من مكان بعيد وأنفق فى ذلك مالا طائلا ويحمل الماء من هذا الجبل إلى صحراء عرفات حيث عملت أحواض تملأ ماء أيام الحج حتى يتيسر الماء للحجيج وقد بنى هذا الأمير فوق جبل الرحمة طاقا مربعا كبيرا يضعون فوق قبته كثيرا من القناديل والشموع ليلة عرفة ويومه فيرى نورها من مسافة فرسخين وقيل إن أمير مكة أخذ ألف دينار من ابن شادن دل ليجيز له إقامة هذا الطاق فى التاسع من ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (۲۷ ابريل ۱۰۵۱) قضيت الحجة الرابعة بعون الله سبحانه وتعالى ولما غابت الشمس عاد الحجاج والخطيب من عرفات وساروا فرسخا إلى المشعر الحرام ويسمونه المزدلفة وهناك بناء جميل كالمقصورة يصلى فيه الناس ويأخذون منه حجارة الرجم التى يرمونها بمنى والعادة أن يقضى الحجاج هذه الليلة وهى ليلة العيد هناك حيث يصلون الفجر وعند طلوع الشمس يتوجهون إلى منى حيث يضحون وهناك مسجد كبير يسمى مسجد الخيف وليس من المفروض إلقاء خطبة وصلاة

(۱۳۶)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۳)، يوم عرفة (۱)، الحج (۱)، الركوع، الركعة (۲)، السجود (۳)، الصّلاة (۳)، الرجم (۱)

صفحه ۱۰۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۷

العيد بمنى فى ذلك اليوم ولم يأمر بهما المصطفى عليه السلام ويكون الحجاج بمنى فى العاشر من ذى الحجة وهناك يرمون الحجارة وشرح ذلك مذكور فى مناسك الحج وفى الثانى عشر من ذى الحجة يغادر منى من عزم على العودة لبلاده ويذهب إلى مكة أهلها إلى الحسا عن طريق الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفلج واليمامة بعد اتمام الحج استأجرت جملا من أعرابى لأذهب إلى الحسا وقيل إنهم يبلغونها من مكة فى ثلاثة عشر يوما وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (۷ مايو ۱۰۵۱) الموافق أول خرداد القديم (مايو يونيو) وقد وجدنا مرجا بعد سبعة فراسخ من مكة عنده جبل ولما بلغناه وجدنا سهلا وقرى وبئرا اسمها بئر الحسين بن سلامة وكان الجو باردا وقد سرنا ناحية المشرق بلغنا الطائف يوم الاثنين الثانى والعشرين من ذى الحجة ومن مكة إلى هناك إثنا عشر فرسخا والطائف ناحية على رأس جبل وكان الجو باردا فى شهر خرداد (مايو يونيو) حتى لزم الجلوس فى الشمس بينما يكثر البطيخ بمكة فى هذا الوقت وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها حصن محكم وسوق وجامع صغيران وبها ماء جار وأشجار رمان وتين كثيرة وبجوارها قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنه وقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجدا كبيرا يقع القبر فى زاويته على يمين المحراب والمنبر وبنى الناس هناك بيوتا يسكنونها سرنا من الطائف واجتزنا جبالا وأراضى صخرية وكنا نجد حيثما سرنا قلاعا محصنة وقرى وقد أرونى وسط الصخور قلعة خربة قيل إنها كانت بيت ليلى وقصتهم فى هذا عجيبة ومن هناك بلغنا قلعة تسمى مطار

(۱۳۷)

مفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (۱)، شهر ذى الحجة (۴)، مدينة مكة المكرمة (۵)، مدينة بغداد (۱)، الحج (۲)، القبر (۲)

صفحه ۱۰۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۸

وبينهـا وبين الطائف إثنا عشر فرسخا ثم بلغنا ناحيـة تسـمى الثريا بها نخيل كثير وتزرع أرضـها بمياه الآبار والسواقى قالوا وليس لهـذه الناحيـة حاكم أو سلطان فإن على كل جهة رئيسا أو سيدا مستقلا ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم فى حرب دائم بعضـهم مع بعض ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخا وبعد ذلك مررنا بقلعة تسـمى جزع وعلى مساحة نصف فرسخ منها أربع قلاع نزلنا عند أكبرها وتسمى حصن بنى نسير وهناك قليل من النخيل وبيت العربى الذى استأجرنا حمله فى الجزع هذه ولبثنا هناك خمسة عشر يوما إذ لم يكن معنا خفير يهدينا الطريق ولكل قوم من عرب هذا المكان ارض محددة ترعى بها ماشيتهم ولا يستطيع أجنبى أن يـدخلها فهم يمسكون كـل من يـدخل بغير خفير ويجردونه ممـا معه فيلزم استصـحاب خفير من كـل جماعـة حـتى يتيسر المرور من أرضـهم فهو وقايـة للمسافر ويسـمونه أيضا مرشـد الطريق (قلاوز) وقـد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا فى طريقنا وهم بنو سواد واسمه أبو غانم عبس بن

(۱۳۸)

مفاتيح البحث: الحرب (۱)، السرقة (۱)

صفحه ۱۰۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۹

البعير فاتخذناه خفيرا وذهبنا معه وقابلنا قومه فظنوا أنهم لقوا صيدا إذ أن كل أجنبى يرونه يسـمى صيدا فلما رأوا رئيسـهم معنا أسقط فى أيديهم ولولا ذلك لأهلكونا وفى الجملة لبثنا معهم زمنا إذ لم يكن معنا خفير يصحبنا ثم أخذنا من هناك خفيرين أجر كل منهما عشرة دنانير ليسيرا بنا بين قوم آخرين وقد كان من هؤلاء العرب شيوخ فى السبعين من عمرهم قالوا لى إنهم لم يذوقوا شيئا غير لبن الإبل طوال حياتهم إذ ليس فى هـذه الصـحراء غير علف فاسد تأكله الجمال وكانوا يظنون أن العالم هكذا وظللت أتحول من قوم إلى قوم وأجـد فى كـل مكـان خطرا وخوفا إلا أن الله تبارك وتعالى سـلمنا منها وبلغنا مكانا فى وسط أرض ملؤها الصـخور يسـمى سربا رأيت به جبالاـ كـل منها كالقبـة لم أر مثلها فى أى ولايـة وهى من الارتفاع بحيث لا يصل إليها السـهم وملساء وصـلبة بحيث لا يظهر عليهـا شق أو التواء وقـد سـرنا من هنـاك فكان زملاؤنا فى الطريق كلما رأوا ضـبا قتلوه وأكلوه وكانوا يحلبون لبن الجمال حيث وجد الأعراب ولم أكن أسـتطيع أكل الضب أو شـرب لبن الجمال وفى كل جهة فى الطريق بها شـجر به ثمر فى حجم حبة السـلة كنت أقنع بأكل حبات منها وبعـد معاناة مشاق ومتاعب كثيرة بلغنا فلج فى الثالث والعشـرين من صـفر (۴۳۳ ۱۰۵۱)) فلـج ومن مكة إليها ثمانون ومائـة فرسـخ وتقع فلـج هـذه وسط الصـحراء وهى ناحية كبيرة ولكنها خربت بالتعصب وكان العمران حين زرناها قاصـرا على نصـف فرسخ فى ميل عرضا وفى هذه المسافة أربع عشرة قلعة

(۱۳۹)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، الظنّ (۱)، الأكل (۱)

صفحه ۱۰۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۰

للصوص والمفسـدين والجهلة وهى مقسـمة بين فريقين بينهما خصومة وعداوة دائمة وقد قالوا نحن من أصـحاب الرسـيم الذين ذكروا

فى القرآن الكريم وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل أما زرعهم ففى أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار وهم يستخدمون فى زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك وزراعتهم قليلة واجر الرجل فى اليوم عشرة سيرات من غلة يخبزها أرغفة ولا يأكلون إلا قليلا من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية كما فى رمضان ويأكلون التمر أثناء النهار وقد رأيت هناك تمرا طيبا جدا أحسن مما فى البصرة وغيرها والسكان هناك فقراء جدا وبؤساء ومع فقرهم فإنهم كل يوم فى حرب وعداء وسفك دماء وهناك تمر يسمونه ميدون تزن الواحدة منه عشرة دراهم ولا يزيدون وزن النوى به عن دانق ونصف ويقال انه لا يفسد ولو بقى عشرين سنة ومعاملتهم بالذهب النيشابورى وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر فى حالة ليس أصعب منها لم يكن معى من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكتب والناس جياع وعراة وجهلاء ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب وكان هناك مسجدا نزلنا فيه وكان معى قليل من اللونين القرمزى واللازورد فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ووضعت فى وسطه ورق الشجر فرأوه وتعجبوا وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه وقالوا لى إذا تنقش محراب هذا المسجد نعطيك مائة من تمرا ومائة من تمرا عندهم شىء كثير فقد أتى وأنا هناك جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمرا فلم يقبلوا وحاربوا وقتل من أهل القلعة عشرة رجال وقلعت ألف نخلة ولم يعطوهم عشرة أمنان تمرا وقد نقشت المحراب كما اتفقوا معى وكان لنا فى المائة من من التمر عون كبير إذ لم يكن ميسورا أن نجد

(۱۴۰)

مفاتيح البحث: شهر رمضان المبارك (۱)، القرآن الكريم (۱)، مدينة البصرة (۱)، السجود (۲)، الحرب (۱)، القتل (۱)، الصّلاة (۲)، التمر (۲)

صفحه ۱۱۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۱

غذاء ولم يكن لدينا أمل فى الحياة ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية إذ كان ينبغى للخروج منها عن أى طريق اجتياز مائتى فرسخ من الصحراء كلها مخاوف ومهالك ولم أر فى الأشهر الأربعة التى أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح فى أى مكان وأخيرا أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا فإنه يحصر من اليمن إلى فلج حيث يباع للتجار قال لى أعرابى أنا أحملك إلى البصرة ولم يكن معى شىء قط لأعطيه أجرا والمسافة مائتا فرسخ وأجرة الجمل دينار ويباع الجمل العظيم هناك بدينارين أو ثلاثة ولكنى رحلت نسيئة إذ لم يكن معى نقود فقال الأعرابى أحملك إلى البصرة على أن تأجرنى ثلاثين دينارا فقبلت مضطرا ولم أكن قد رأيت البصرة قط فوضع هؤلاء الأعراب كتبى على جمل أركبوا عليه أخى وسرت أنا راجلا وتوجهنا فى اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأكبر) كان الطريق مستويا لا جبال فيه ولا مرتفعات وكان ماء المطر متجمعا حيثما كانت الأرض أشد صلابة ومضت ليال وأيام ولم يبد فى أى جهة أثر الطريق إلا أنهم كانوا يسيرون بالغريزة (بالسمع) ومن العجيب أنهم كانوا يبلغون فجاة بئر ماء مع عدم وجود أى علامة اليمامة وبالاختصار بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها وباليمامة حصن كبير قديم والمدينة والسوق حيث صناع من كل نوع يقعان خارج الحصن وبها مسجد جميل وأمراؤها علويون منذ القديم ولم ينتزع

(۱۴۱)

مفاتيح البحث: مدينة البصرة (۳)، السجود (۱)

صفحه ۱۱۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۲

أحد هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر وهؤلاء العلويون ذوو شوكة فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس ومذهبهم الزيدية وهم يقولون فى الإقامة (محمد وعلى خير البشر وحى على خير العمل) وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية (خاضعون للأشراف) وبالنامة مياه جارية فى القنوات وفيها نخيل وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف من منه بدينار ومن اليمامة إلى الحسا أربعون فرسخا ولا يتيسر الذهاب إليها إلا فى فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها ولا يكون ذلك فى الصيف وصف الأحساء والحسا مدينة فى الصحراء ولبلوغها عن أى طريق ينبغى اجتياز صحراء واسعة والبصرة أقرب البلاد الإسلامية التى بها سلطنة إلى الحسا وبينهما خمسون ومائة فرسخ ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا أبدا والحسا مدينة وسواد أيضا وبها قلعة ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بين كل اثنين منها ما يقرب من فرسخ وفى المدينة عيون ماء عظيمة تكفى كل منها لإدارة خمس سواق ويستهلك كل هذا الماء بها فلا يخرج منها ووسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التى فى المدن الكبيرة وفيها أكثر من عشرين ألف محارب وقيل إن سلطانهم كان شريفا وقد ردهم عن الإسلام وقال إنى أعفيتكم من الصلاة والصوم ودعاهم إلى أن مرجعهم لا يكون إلا إليه وأسمه أبو سعيد وحين يسألون عن مذهبهم يقولون إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته وقد قال لهم أبو سعيد إنى أرجع إليكم يعنى بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد

(۱۴۲)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة البصرة (۱)، الصيام، الصوم (۱)، الصّلاة (۱)، الوسعة (۱)، التمر (۱)

صفحه ۱۱۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۳

بنوا عنده قبرا جميلا- وقد أوصى أبناءه قائلا- (يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائى يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود) ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون ولهم ستة وزراء على تخت آخر ويتداولون فى كل أمر وكان لهم فى ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجى حبشى يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وهم لا يأخذون عشورا من الرعية وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله وإذا كان لأحدهم دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذى له وكل غريب ينزل فى هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشترى ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد (إلى الحكام) ما أخذ حين يشاء وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة على الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا اليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ولا يطلبون من المالك شيئا وفى الحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ويسمى وزراؤهم الشائرة وليس فى مدينة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة أو خطبة إلا أن رجلا فارسيا اسمه على بن أحمد بنى مسجدا وهو مسلم حاج غنى كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا والبيع والشراء والعطاء والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص فى زنابيل يزن كل منها ست آلاف درهم فيدفع الثمن عددا من الزنابيل وهذه العملة لا تسرى فى الخارج وينسجون هناك فوطا جميلة ويصدرونها للبصرة وغيرها وإذا

(۱۴۳)

مفاتيح البحث: على بن أحمد (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۱)، الوصية (۱)

صفحه ۱۱۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۴

صلى أحد فإنه لا يمنع ولكنهم أنفسهم لا يصلون ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع ولا يشربون مطلقا وعلى باب قبر أبى سعيد حصان مهيأ بعناية عليه طوق ولجام يقف بالنوبة ليلا ونهارا يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيا ويقال إنه قال لأبنائه حين أعود ولا تعرفوننى اضربوا رقبتى بسيفى فإذا كنت أنا حييت فى الحال وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعى أحد أنه أبو سعيد وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش إلى مكة أيام خلفاء بغداد فاستولى عليها وقتل من كان يطوف بالكعبة وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلى الحسا وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس اليه من أطراف العالم ولم يفقهوا أن شرف محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وجلاله هما اللذان يجذبان الناس فقد لبث الحجر الأسود فى الحسا سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد وأخيرا اشترى منهم الحجر الأسود وأعيد إلى مكانه وفى الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشترى ماذا يشترى وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبحونها ويبيعون لحمها والبحر على مسيرة سبعة فراسخ من الحسا إلى ناحية الشرق فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين وهى جزيرة طولها خمسة عشر فرسخا والبحرين مدينة كبيرة أيضا بها نخل كثير ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه وإذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان وهى فى بلاد العرب وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها وولاية عمان ثمانون فرسخا فى مثلها وهى حارة الجو ويكثر بها الجوز الهندى المسمى نارجيل وإذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق

(۱۴۴)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، مدينة بغداد (۱)، الحجر الأسود (۳)، القبر (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، المنع (۱)، القتل (۱)

صفحه ۱۱۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۵

يبلغ شاطئ كيش ومكران وإذا سار جنوبا يبلغ عدن فإذا سار فى الجانب الآخر يبلغ فارس وفى الحسا تمر كثير حتى أنهم يسمنون به المواشى ويأتى وقت يباع فيه أكثر من ألف من بدينار واحد وحين يسير المسافر من الحسا إلى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف وهى مدينة كبيرة بها نحل كثير وقد ذهب أمير عربى إلى أبواب الحسا ورابط هناك سنة واستولى على سور من أسوارها الأربعة وشن عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئا وقد سألنى حين رآنى عما تنبئ به النجوم قال أريد أن أستولى على الحسا فهل أستطيع أم لا ـ فإن أهلها قوم لا دين لهم فأجبته بما فيه الخير له وعندى أن كل البدو يشبهون أهل الحسا فلا دين لهم ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة أقول هذا عن بصيرة لا شىء فيه من الأراجيف فقد عشت فى وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذى كانوا يقدمونه إلى كلما طلبت ماء لأشرب فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون اطلبه حيثما تراه ولكن عند من تراه وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجارى فى حياتهم وصف فارس البصرة والآن أعود إلى حكايتى حينما غادرنا الحسا إلى البصرة كنا نجد الماء فى بعض الجهات ولا نجده فى أخرى حتى بلغنا البصرة فى العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (۲۸ ديسمبر ۱۰۵۱) للبصرة سور عظيم يحيط بها ما عدا

(۱۴۵)

مفاتيح البحث: شهر شعبان المعظم (١)، مدينة البصرة (٣)

صفحه ۱۱۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۶

الجزع المطل على النهر وهذا النهر هو شط العرب ويلتقى دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة ويلتقى بهما أيضا قناة المويزة فيسمى النهر حينئذ شط العرب ويتفرع من شط العرب هذا قناتان كبيرتان بين منبعهما مسافة فرسخ وقد شقا صوب القبلة مسافة أربعة فراسخ ثم يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير مسافة فرسخ واحد ناحية الجنوب ومن هاتين القناتين شقت ترع كثيرة مدت فى كل الأطراف وغرست أشجار النخيل والحدائق على شواطئها والقناة العليا وهى الشمالية الشرقية تسمى نهر معقل والثانية وهى الغربية الجنوبية تسمى نهر الأبله ومنهما تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة والبصرة على أقصر ضلع من هذا المستطيل والجنوب الغربى للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقا وكان معظم البصرة خرابا ونحن هناك والجهات العامرة متباعدة جدا من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب ولكن بابها وسورها محكمان وقويان وبها خلق كثير ودخل سلطانها كبير كان أميرها فى ذلك الوقت ابن أبى كاليجار الديلمى الذى كان ملك فارس وكان وزيره رجلا فارسيا اسمه أبو منصور شاه مردان وينصب السوق فى البصرة فى ثلاث جهات كل يوم ففى الصباح يجرى التبادل فى سوق خزاعة وفى الظهر فى سوق عثمان وفى المغرب فى سوق القداحين والعمل فى السوق هكذا كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشترى كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشترى شيئا غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة حين بلغنا البصرة كنا من العرى والفاقة كأنا مجانين وكنا قد لبثنا ثلاثة

(۱۴۶)

مفاتيح البحث: نهر الفرات (١)، مدينة البصرة (۴)

صفحه ۱۱۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۷

شهور لم نحلق شعر رأسنا فأردت أن أذهب إلى الحمام التمس الدفء فقد كان الجو باردا ولم يكن علينا ملابس كنت أنا وأخى كلانا نلبس فوطة بالية وعلى ظهرينا خرقة من الصوف متدلية من الرأس حتى قلت لنفسى من الذى يسمح لنا الآن بدخول الحمام فبعت السلتين اللتين كانت بهما كتبى ووضعت بعض دراهم من ثمنها فى ورقة لأعطيها للحمامى عسى أن يسمح لنا بوقت أطول فى الحمام لنزيل ما علينا من كدر فلما قدمت اليه هذه الدريهمات نظر إلينا شذرا وظن أننا مجانين وانتهرنا قائلا اذهبوا فالآن يخرج الناس من الحمام ولم يأذن لنا بالدخول فخرجنا فى خجل ومشينا مسرعين وكان بباب الحمام أطفال يلعبون فحسبونا مجانين فجروا فى أثرنا ورشقونا بالحجارة وصاحوا بنا فلجأنا إلى زاوية وقد تملكنا العجب من أمر الدنيا وكان الأعرابى يطلب منا الثلاثين دينارا مغربيا ولم نكن نعرف وسيلة للسداد وكان بالبصرة وزير ملك الأهواز واسمه أبو الفتح على بن أحمد وهو رجل أخلاق وفضل يجيد معرفة الشعر والأدب وكان كريما وقد جاء البصرة مع أبنائه وحاشيته وأقام بها ولم يكن لديه ما يشغله وكنت عرفت رجلا فارسيا فاضلا من أصدقاء الوزير والمترددين عليه كل وقت وكان هذا الفارسى فقيرا لا وسعة عنده لإعانتنا فقص على الوزير قصتنا فلما سمعها أرسل إلى رجلا ومعه حصان أن اركب واحضر عندى كما أنت فخجلت من سوء حالى وعريى ولم أر الذهاب مناسبا فكتبت رقعة معتذرا وقلت فيها إنى سأكون فى خدمته (بعد وصول ورقتى اليه) وكان قصدى من الكتابة شيئين أن يعرف فقرى وعلمى حين يطلع على كتابتى وأن يقدر أهليتى وذلك حتى لا أخجل من زيارته وقد أرسل إلى فى الحال ثلاثين دينارا لشراء كسوة فاشتريت حلتين جميلتين وفى اليوم

الثـالث ذهبت لمجلس الوزير فرأيته رجلاـ كاملا أديبا فاضـلا جميل الخلقـة متواضـعا دينا حلو الحـديث وله أربعـة أبناء أكبرهم شاب فصيح أديب عاقل اسمه الرئيس أبو عبد الله أحمد بن على بن أحمد وكان شاعرا

(۱۴۷)

مفاتيح البحث: يوم عرفة (۱)، أحمد بن على بن أحمد (۱)، أبو عبد الله (۱)، مدينة البصرة (۱)، على بن أحمد (۱)، الإستحمام، الحمام (۵)

صفحه ۱۱۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۸

وكاتبـا فيه فتوة الشـباب ورجاحـة العقـل ومظـاهر التقوى وقـد أضافنـا الوزير عنـده من أول شـعبان إلى نصف رمضـان ثم أمر بإعطـاء الأعرابى الـذى اسـتأجرنا جمله الثلاثين دينارا التى له على فكفانى مؤونـة هـذا الـدين اللهم تباركت وتعاليت فرج ضـيق المـدينين من عبيـدك من هم القرض بحق الحق وأهله ولمـا أردنـا السـفر رحلنـا عن طريق البحر بعـد أن أفاض علينا بنعمه وأفضاله فبلغنا فارس فى كرامة وهدوء ببركة هذا الرجل الحر رضـى الله عز وجل عن الرجال الأحرار وفى البصرة ثلاثة عشر مشهدا باسم أمير المؤمنين على بن أبى طالب صـلوات الله عليه يقال لأحدها مشـهد بنى مازن وذلك أن أمير المؤمنين عليا صـلى الله عليه وسـلم جاء إلى البصرة فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين (سبتمبر ۶۵۵) من هجرة النبى عليه الصـلاة والسلام وكانت عائشة رضى الله عنها قد أتت محاربة وقد تزوج أمير المؤمنين عليه السـلام ليلى بنت مسـعود النهشـلى وكان هـذا المشـهد بيتها وقد أقام أمير المؤمنين اثنين وسـبعين يوما ثم رجع إلى الكوفة وبجانب المسـجد الجامع مشـهد آخر يسمى مشهد باب الطيب ورأيت فى مسجد البصرة عمودا من الخشب طوله ثلاثون ذراعا وسـمكه خمسـة أشـبار وأربعـة أصـابع وكـان أحـد طرفيه أسـمك من الطرف الآخر قيل إنه من أخشاب بلاد الهنـد اسـتولى عليه أمير المؤمنين على عليه السلام وأحضره للبصرة والأحد عشر مشهدا الأخرى كل منها بموضع وقد زرتها كلها بعد أن أيسرنا ارتدينا ملابسنا وذهبنـا يومـا إلى ذلـك الحمـام الـذى لم يسـمح لنـا بـدخوله من قبـل فوقف الحمامى عنـد دخولنا من الباب وكـذلك وقف كل من الحاضـرين حتى دخلنا ثم جاء المدلك والقيم وقاما بخدمتنا فلما فرغنا ودخلنا غرفة الملابس وقف كل من بها ولم يجلسوا حتى لبسنا ثيابنا وخرجنا وفى أثناء ذلك كان الحمامى يقول لصاحب له هذان هما

(۱۴۸)

مفاتيـح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السـلام (۳)، مدينة الكوفة (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، شهر ربيع الأول (۱)، مدينة البصرة (۳)، الهند (۱)، الشهادة (۴)، السجود (۲)، الزوج، الزواج (۱)، الصّلاة (۱)، الإستحمام، الحمام (۱)

صفحه ۱۱۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۹

الرجلان اللـذان لم نـدخلهما الحمام يوم كذا وكان يظن أننى لا أعرف لغته فقلت له بالعربية حقا ما تقول فنحن اللذان كنا نلبس خرقة من الصوف على ظهرنا فخجل الرجل واعتـذر وكان بين هـذين الحالين عشـرون يوما وقد ذكرت هذا الفصل حتى يعرف الناس أنه لا ينبغى التـذمر من أزمات الزمان واليأس من رحمة الخالق جل جلاله وعم نواله فإنه تعالى رحيم وصف المد والجزر بالبصـرة ووصـف أنهارها يحـدث المد ببحر عمان عادة مرتين كل أربع وعشـرين ساعة فيرتفع الماء بمقدار عشـر أذرع وحين يبلغ الارتفاع أقصـى مداه يبدأ الجزر بالتدريج فينخفض الماء عشـرا أو اثنتى عشـرة ذراعا ويعرف بلوغ ارتفاع الماء مقدار الأذرع العشـر بظهوره على عمود أقيم

هناک أو على حائط ولو كانت الأرض مستوية وغير عالية لعظم امتداد البحر إليها ويسير النهران دجلة والفرات بغاية البطء حتى يتعذر فى بعض الجهات معرفة اتجاه التيار فيهما وحين يبدأ المد بدفع البحر ماءهما مسافة أربعين فرسخا حتى يظن إنهما يرتدان إلى منبعيهما أما فى الأماكن الأخرى التى تقع على شاطئ البحر فإن امتداد المد إليها يتوقف على ارتفاعها وانخفاضها فحيثما استوت الأرض ازداد المد وحيثما ارتفعت قل ويقال إن المد والجزر متعلقان بالقمر فيبلغ المد أقصى مداه حين يكون القمر على الأفقين يعنى أفقى المشرق والمغرب ومن ناحية أخرى حين يكون القمر فى اجتماع الشمس واستقبالها يزداد الماء أى ان المد يزيد فى هذه الأوقات ويعظم ارتفاعه وحين يكون القمر فى التربيعات تأخذ المياه فى النقصان يعنى لا يكون علوها كثيرا وقت المد ولا ترتفع ارتفاعها وقت الاجتماع والاستقبال وكذلك يكون جزرها فى هذه الحالة أقل هبوطا منه فى وقت الاجتماع والاستقبال وبهذه الدلائل يقولون إن المد والجزر متعلقان بالقمر والله تعالى أعلم

(۱۴۹)

مفاتيح البحث: نهر الفرات (۱)، الوقوف (۱)، الظنّ (۲)، الإستحمام، الحمام (۱)

صفحه ۱۱۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۰

والأبلة التى تقع على النهر المسمى بها مدينة عامرة وقد رأيت قصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها وهى من الجمال بحيث لا يمكن حدها أو وصفها والمدينة الأصلية تقع الجانب الشمالى للنهر وعلى جانبه الجنوبى يوجد من الشوارع والمساجد والأربطة والأسواق والأبنية الكبيرة ما لا يوجد أحسن منه فى العالم وهذا الجانب الجنوبى يسمى شق عثمان والشط الكبير الذى هو دجلة والفرات مجتمعين والمسمى شط العرب يقع شرقى الأبلة والمدينة فى الجنوب ويلتقى نهرا الأبلة ومعقل عند البصرة وقد ذكرت ذلک من قبل وصف أحياء البصرة والبصرة عشرون ناحية فى كل منها كثير من القرى والمزارع وهى حشان شربه بلاس عقر ميسان المقيم نهر حرب شط العرب سعد سام الجعفرية المشان الصمد الجونة الجزيرة العظمى مروت الشرير جزيرة العرش الحميدة الحويزة المنفردات ويقال انه كان من المتعذر فى وقت ما أن تمر سفينة من فم نهر الأبلة لعظم عمق مائه فأمرت امرأة من أثرياء البصرة بتجهيز أربعمائة مركب وملأتها كلها بنوى التمر وأغرقتها هناک بعد أحكام سدادها فارتفع القاع وتيسر عبور السفن وفى الجملة فقد غادرنا البصرة فى منتصف شوال سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (۲۰ فبراير ۱۰۵۲) فركبنا الزورق وسرنا فى نهر الأبلة ورأينا طوال أربعة فراسخ فى اجتيازه حدائق وجواسق ومناظر لا تنقطع على شاطئيه ويتفرع من هذا النهر ترع كل منها فى سعة نهر فلما بلغنا شق عثمان وهى أمام الأبلة نزلنا وأقمنا بها وفى السابع عشر من شوال (۲۲ فبراير) ركبنا سفينة تسمى بوصى وكان الناس الكثيرون الواقفون على الجانبين يصيحون قائلين سلمک الله يا بوصى وقد بلغنا عبادان فنزل

(۱۵۰)

مفاتيح البحث: نهر الفرات (۱)، شهر شوال المكرم (۲)، مدينة البصرة (۴)، الوسعة (۱)، الحرب (۱)، التمر (۱)، السفينة (۲)

صفحه ۱۲۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۱

فنزل الركاب من السفينة وتقع عبادان على شاطئ البحر وهى كالجزيرة إذ أن الشط ينقسم هناک إلى قسمين مما يجعل بلوغها متعذرا من أى ناحية بغير عبور الماء ويقع المحيط جنوب عبادان ولذا فإن الماء يبلغ سورها وقت المد كما أنه يبتعد عنها أقل من فرسخين أثناء الجزر ويشترى بعض المسافرين الحصير من عبادان ويشترى البعض الآخر المأكولات منها وفى صباح اليوم التالى أجريت السفينة

فی البحر وسارت بنا شمالا وكان المد حلوا مستساغا لغاية عشرة فراسخ ذلك لأن الشط يسير كاللسان فی وسط البحر ولما ارتفعت الشمس ظهر فی البحر شیء يشبه العصفور الدری وكان يكبر كلما اقتربنا منه فلما واجهناه من اليسار على مسافة فرسخ خالفت الرياح فرموا المرساة ولفوا الشراع فسألت ما هذا قالوا إنه الخشاب وصف الخشاب (المنار) يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجانيق وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعا وعلى قمته حجارة وقرميد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس ويقول البعض إن الذی بنی الخشاب هذا تاجر كبير ويقول آخرون بل بناه أحد الملوك وكان الغرض منه شيئين أحدهما أنه بنی فی جهة ضحلة يضيق البحر عندها فإذا بلغتها سفينة كبيرة ارتطمت بالأرض ففی الليل يشعلون سراجا فی زجاجة بحيث لا تطفئه الرياح وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحتاطون وينجون والثانی ليعرف الملاحون الاتجاه وليروا القرصان إن وجدوا فيتقونهم بتحويل اتجاه السفينة

(۱۵۱)

مفاتيح البحث: السفينة (۳)

صفحه ۱۲۱

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۵۲

ولما اجتزنا الخشاب بحيث أصبح لا يرى رأينا آخر مثله ولكن ليس على سطحه قبة لأنهم لم يستطيعوا إكماله ومن هناك بلغنا مدينة مهروبان وهی مدينة كبيرة على شاطئ البحر الشرقی بها سوق كبير وجامع جميل ولكن ماءها من المطر وليس بها آبار أو قنوات من الماء العذب وقد اتخذ أهلها أحواضا ومصانع ليكون الماء متوفرا دائما وقد بنی بها ثلاثة أربطة كل منها كأنه حصن محكم ومرتفع وقد رأيت على منبر مسجدها الجامع اسم يعقوب بن الليث فسألت واحدا كيف كان ذلك فقال إن يعقوب بن الليث الصفار استولی على البلاد لغاية هذه المدينة ولم يكن لأمير آخر من أمراء خراسان هذه القوة وفی الوقت الذی كنت بها كانت مهروبان ملكا لأبناء أبی كاليجار الذی كان ملك فارس ومأكولات هذه المدينة تحمل إليها من المدن والولايات الأخرى إذ ليس بها شیء سوى السمك وفيها تحصل المكوس فهی ميناء وحين يسير المسافر منها جنوبا على شاطئ البحر يبلغ توه وكازرون وقد لبثت بمهروبان زمنا لأنه قيل إن الطرق ليست آمنة لما بين أبناء أبی كاليجار من الحروب فقد كان كل منهم على رأس جيش وكان الملك مضطربا وسمعت أن بأرجان رجلا عظيما فاضلا هو الشيخ السديد محمد بن عبد

(۱۵۲)

مفاتيح البحث: محمد بن عبد (۱)، خراسان (۱)، السجود (۱)

صفحه ۱۲۲

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۵۳

الملك وكنت قد سئمت من كثرة ما أقمت بمروبان فكتبت له خطابا وأعلمته بحالی والتمست منه أن يرحلنی من هذه المدينة إلى بلد أمين فلما أرسلت الكتاب جاءنی فی اليوم الثالث ثلاثون راجلا مدججون بالسلاح وقالوا قد أرسلنا الشيخ لنكون فی خدمتك إلى أرجان وقد اصطحبونا آمنين إليها أرجان مدينة كبيرة بها عشرون ألف رجل وفی الجانب الشرقی منها نهر ينحدر من الجبل الذی شقت عند جانبه الشمالی أربع ترع عظيمة تتخلل المدينة وقد أنفق فی إنشائها مال كثير وتسير هذه الترع إلى ما وراء أرجان وقد زرعت على شواطئها الحدائق والبساتين وبها كثير من النحل وأشجار النارنج والترنج والزيتون وبنيت أرجان بحيث يكون ما تحت الأرض من بيوتها مساويا لما فوقها ويتخلل الماء هذه المساكن الأرضية والسراديب فی جميع جهات المدينة حيث يستريح الناس فی

فصل الصيف والناس هناك على مذاهب شتى وإمام المعتزلة اسمه أبو سعيد البصرى وهو رجل فصيح يدعى العلم بالهندسة والحساب وقد تباحثت معه وسأل كل منا الآخر وأجابه كما سمعت منه فى علمى الكلام والحساب وغيرهما غادرت أرجان فى أول المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٢ مايو ١٠٥٢) وقد اتجهنا ناحية أصفهان عن طريق كوهستان فبلغنا فى الطريق جبلا به شق ضيق يقول العامة إن بهرام جور شقه بسيفه ويسمونه شمشير بريد ورأينا فى هذا المكان ماء متدفقا يتفجر من عين على يميننا وينزل من مكان عال ويقول العامة إن هذا الماء يجوم تفجره فى الصف أما فى الشتاء فيقف ويتجمد ثم بلغنا لوردغان وبينها وبين أرجان أربعون فرسخا ولوردغان هذه هى حدود فارس ومن هناك بلغنا خان لنجان ورأيت اسم السلطان طغرل بيك مكتوبا على بابها ومنها إلى أصفهان سبعة فراسخ ويعيش أهل خان

(١٥٣)

مفاتيح البحث: مدرسة المعتزلة (١)، مدينة إصفهان (٢)

صفحه ۱۲۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٤

لنجان آمنين هادئين كل منهم مشتغل بعمله وشؤون بيته وفى الثامن من صفر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠ يونيو ١٠٥٢) قمنا من هناك فبلغنا مدينة أصفهان ومن البصرة إليها ثمانون ومائة فرسخ وهى مشيدة على أرض مستوية ماؤها عذب وهواؤها عليل وحيثما حفرت الأرض عشر أذرع خرج ماء عذب بارد وللمدينة سور مرتفع حصين به بوابات ومقاتلات وعلى السور شرفات وفيها أنهار جارية وأبنية جميلة مرتفعة وفى وسطها مسجد جمعة جميل جدا ويقال إن طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف وكلها عامرة من الداخل فلم أر بها خرابا قط وفيها أسواق كثيرة ورأيت فيها سوقا من أسواق الصرافين كان بها مائتا صراف ولكل سوق سور وبوابة محكمة وكذلك للأحياء والشوارع وأربطتها نظيفة وفى شارع اسمه كوطراز (شارع الطرازين) خمسون رباطا جميلا ـ فى كل منها تجار ومستأجرون كثيرون والقافلة التى صحبناها فى الطريق كانت تحمل ثلاثمائة وألف خروار من البضائع ولما دخلنا أصفهان لم يتحر عن دخولنا أحد إذ لا تضيق أماكن السكنى أو تتعذر الإقامة أو المؤن بها ولما استولى السلطان طغرل بيك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق رحمة الله عليه على هذه المدينة ولى عليها شابا نيسابوريا كان كاتبا مجيدا حسن الخط هادئا حسن اللقاء ولقبه الخواجة العميد كان صاحب فضل حلو الحديث كريما وكان السلطان قد أمر بأن لا يطالب الناس بشىء مدة ثلاث سنين فسار على ذلك وأعاد المهاجرين إلى أوطانهم وكان هذا الرجل من كتاب الشورى وكان بأصفهان قبل مجيئنا قحط عظيم ولكن حين بلوغنا إياها كان الشعير قد جمع وكان المن والنصف من خبز القمح يساوى درهما عدلا وكذلك كانت ثلاثة الأمنان من الشعير وقال الناس هناك إن أحدا منهم لم ير

(١٥٤)

مفاتيح البحث: مدينة إصفهان (٣)، مدينة البصرة (١)، السجود (١)

صفحه ۱۲۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٥

إنه بيع بها بدرهم أقل من ثمانية أمنان من الخبز ولم أر فى كل البلاد التى تتكلم الفارسية مدينة أجمل ولا أكثر سكانا وعمرانا من أصفهان وقيل إنه إذا خزن بها القمح أو الشعير أو غيرهما من الحبوب مدة عشرين سنة لالم يفسد وقال البعض إن هواءها كان أحسن قبل إنشاء السور وإنه تغير بعد إنشائه بحيث تفسد بعض الأشياء أما الريف فقد ظل هواؤه كما كان وقد قمت بأصفهان عشرين يوما

بسبب تأخر قيام القافلة وفى الثامن والعشرين من صفر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (۳۰ يونيو ۱۰۵۲) بلغنا قرية تسمى هيم آباد ومن هناك بلغنا قصبة نايين عن طريق الصحراء وجبل مسكيان ومن أصفهان إلى هناك ثلاثون فرسخا وقد سرنا من نايين مسافة ثلاثة وأربعين فرسخا حتى بلغنا قرية كرمة من ناحية بيابان التى بها عشر أو اثنتا عشرة وهى جهة جوها حار وبها نخيل وكانت تابعة قديما للقفص وحين بلغناها كان الأمير كليكى قد استولى عليها منهم ونصب عليها نائبا من قبله وجعل مقامه فى قرية ذات قلعة تسمى بيادة وقد ضبط هذا الحاكم الولاية وجعل طرقها آمنة وإذا قطع القفص الطريق يرسل إليهم الأمير كليكى جنده فيقبضون عليهم ويستردون منهم المال ويقتلونهم وقد أصبح الطريق آمنا واستراح الناس بفضل هذا الأمير العظيم اللهم تباركت وتعاليت احفظ وانصر وأعن السلاطين العادلين وارحم المتوفين منهم وقد بنيت فى هذا الطريق الصحراوى بين كل فرسخين فى المواضع غير الملحة قباب صغيرة وخزانات يتجمع فيها ماء المطر وقد شيدت القباب حتى لا يضل المسافرون الطريق ولكى يأووا إليها ساعات فى الحر والبرد وقد رأينا فى الطريق الرمل المتحرك وكل من يتحول عن العلامات التى وضعت فى الطريق للإرشاد فإنه لا يستطيع

(۱۵۵)

مفاتيح البحث: مدينة إصفهان (۳)، الضلال (۱)، البيع (۱)

صفحه ۱۲۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۶

الخروج من وسط هذا الرمل ويهلك وبدا لنا طوال ستة فراسخ أرض ملحة متحركة يختفى فيها من ينحرف إليها عن الطريق المحدود ومن هناك ذهبنا عن طريق رباط زبيدة المسمى رباط المرامى وهو يحتوى على خمس آبار ولولا هذا الرباط والماء الذى به لما استطاع أحد اجتياز هذه الصحراء ثم دخلنا ناحية طبس فى قرية تسمى رستاباد وفى التاسع من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة (۹ يوليو ۱۰۵۲) بلغنا طبس ويقال إن بينها وبين أصفهان عشرة ومائة فرسخ وطبس مدينة مزدحمة ولو أنها تشبه القرية ماؤها قليل وزراعتها أقل وبها النخل والبساتين وتقع نيسابور على مسيرة أربعين فرسخا منها شمالا وخبيص على مسيرة أربعين فرسخا جنوبا فى طريق الصحراء وناحية المشرق جبل صعب المرتقى وكان أميرها فى ذلك الوقت كيلكى بن محمد الذى استولى عليها بالسيف والناس هناك فى سلام وأمن عظيمين حتى أنهم لا- يغلقون بيوتهم ليلا- ويتركون البهائم فى الطريق مع أن المدينة غير مسورة ولا تجرؤ امرأة على الكلام مع شخص أجنبى عنها فإذا فعلت قتل الاثنان وكذلك لا سرقة ولا قتل بفضل حزم الأمير وعدله وقد رأيت الأمن والعدل فيما رأيت من بلاد العرب والعجم فى أربعة مواضع الأول بالدشت أيام لشكر خان والثانى فى الديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين والرابع بطبس أيام الأمير أبى الحسن كيلكى بن محمد فلم أسمع على كثرة ما سافرت بمثل ما فى هذه الجهات من الأمن ولم أره وقد استبقانا الأمير رضى الله عنه سبعة عشر يوما بطبس و أضافنا وأمر لنا بصلات وقت الرحيل معتذرا عن ضآلتها وأرسل معنا أحد فرسانه

(۱۵۶)

مفاتيح البحث: مدينة إصفهان (۱)، شهر ربيع الأول (۱)، القتل (۲)

صفحه ۱۲۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۷

حتى زوزن التى تقع على مسيرة اثنين وسبعين فرسخا وبعد اثنى عشر فرسخا من قيامنا من طبس بلغنا قصبة تسمى الرقة بها مياه جارية وزرع وبساتين وأشجار وحصن ومسجد جمعة وقرى ومزارع كبيرة وفى التاسع من ربيع الآخر (۸ أغسطس) غادرنا الرقة وفى الثانى

عشـر من هـذا الشـهر بلغنا تون وبينهما عشـرون فرسـخا وتون مدينـة كبيرة ولكن معظمها كان خرابا حين رأيتها وهى على حافة واد به الماء الجارى والقنوات وفى جانبها الشرقى بساتين كثيرة ولها حصن محكم وقيل إنه كان بها أربعمائة مصنع للسجاد وفى المدينة كثير من شـجر الفسـتق فى بساتين المنازل ويعتقـد سـكان بلخ وطخارسـتان أن الفسـتق لا ينبت ولا ينمو إلا على الجبال ولما رحلنا من تون حكى لى الرجـل الـذى بعثه معنـا الأمير كيلكى فقال كنا ذاهبين ذات مرة من تون إلى كنايـد فخرج علينا اللصوص وتغلبوا علينا فألقى بعضـنا من الخوف بنفسه فى بئر تجرى تحت الأرض وكان لواحـد من هؤلاء والـد شـفوق فجاء واسـتأجر رجلا لينزل إلى البئر ويخرج ولده منها واسـتعان الجماعة بكل ما لديهم من الحبال وأتى رجال كثيرون ونزل الرجل مسافة سبعمائة ذراع حتى بلغ القاع وربط الولد بالحبـل وجروه ميتـا وقـد قـال الرجـل حين طلع من البئر إن بهـا مـاء عظيمـا يتـدفق جاريـا تحت الأرض مسافـة أربع فراسـخ ويقال إن كيخسـرو هو الـذى أمر بحفرهـا وفى الثالث والعشـرين من شوال (٢٣ أغسـطس) بلغنا مدينة قاين وبينها وبين تون ثمانية عشـر فرسـخا تجتازها القافلة فى أربعة أيام وهى مسافة شاقة وقاين مدينة كبيرة حصـينة حولها خندق وبها مسجد جمعة به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فى خراسان وهو غير متناسب مع حجم المسجد وعلى جميع بيوت المدينة قباب وزوزن على مسيرة ثمانية

(١٥٧)

مفاتيح البحث: شـهر شوال المكرم (١)، شهر ربيع الثانى (١)، خراسان (١)، السجود (٣)، الخوف (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الجماعة (١)

صفحه ۱۲۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٨

عشـر فرسـخا من الجانب الشـرقى الشـمالى لقاين ومنها جنوبا إلى هراة ثلاثون فرسـخا ورأيت بقاين رجلا اسـمه أبو منصور محمد بن دوست ملم بكل علم من طب وفلك ومنطق فسألنى أى شـيء خارج هذه الأفلاك والأنجم قلت يسـمى شيئا ما يكون داخل الأفلاك أما ما وراءها فلا يجوز أن يسـمى شـيئا فقال ما وراء السـماوات معنوى أم مادى قلت لا جـدال أن العلم محـدود وحده فلك الأفلاك والحـد ما يفصل فلكا عما عـداه فإذا علم هذا وجب أن يكون ما وراء الأفلاك مخالفا لما فى داخلها قال هذا المعنى الذى يثبته العقل هل له نهايـة من هـذه الناحيـة إن كانت له نهايـة فأين وإن كان لا نهايـة له فكيف يقبل اللامتناهى الفناء وتكلمنا زمنا على هـذا النحو فقـال أنـا كثير الحيرة من هـذا فقلت ومن لاـ يحار فيه وعلى كل حال فقـد لبثنا بقاين شـهرا بسـبب ثورة كانت فى زوزون أثارها عبيد النيسـابورى ولتمرد رئيس زوزن وقـد أرجعت من هنـاك الفـارس الـذى بعثه معنـا الأمير كيلكى وخرجنا من قاين قاصـدين سـرخس فبلغناها فى الثانى من جمادى الآخرة (أول أكتوبر) وقدرت من البصـرة إلى سـرخس تسـعين وثلاثمائة فرسخ وقد غادرنا سـرخس عن طريق الرباط الجعفرى والرباط العمرى والرباط النعمتى وهى ثلاثـة أربطة متقاربة على الطريق وفى الثانى عشـر من جمادى الآخر بلغنا مدينـة مرو الرود وخرجنا منها بعد يومين وتبعنا طريق آب كرم وفى التاسع عشـر بلغنا فارياب بعد ان سـرنا سـتة وثلاثين فرسـخا وكان أمير خراسان جعفرى بيك أبو سـليمان داود ابن ميكائيل بن سـلجوق فى شـبورغان وكان يقصـد الذهاب إلى دار ملكه مرو وقد اتبعنا طريق سـنكلان بسـبب الثورات ثم اتجهنا ناحيـة بلـخ عن طريق سه دره فلما بلغنا رباطها سـمعنا أن أخى أبا الفتـح عبد الجليل كان فى حاشيـة وزير أمير خراسان المسـمى أبا نصـر وقد مضـى على خروجنا من خراسان سـبعة أعوام فلما بلغنا دسـتكرد رأينا أمتعة تنقل إلى شبورغان فسأل أخى الذى كان معى لمن هذه فقيل له

(١٥٨)

مفاتيح البحث: شهر جمادى الثانية (١)، مدينة البصرة (١)، خراسان (٣)، البعث، الإنبعاث (١)، الجواز (١)

صفحه ۱۲۸

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۵۹

إنها لهذا الوزير فسألهم هل تعرفون أبا الفتح عبد الجليل فقالوا إنه كان معنا ثم اقترب منا خادم وسألنا من أين أتيتم فقلنا من الحج قال إن لسيدى أبى الفتح عبد الجليل أخوين ذهبا للحج منذ سنوات وهو دائم الشوق إليهما وكلما سأل عنهما أحد لا يدله قال أخى إنا نحمل من ناصر كتابا فحين يصل سيدك نسلمه إياه وبعد قليل سارت القافلة وسرنا معها فقال هذا الخادم إن سيدى يصل الآن فإذا لم يجدكما يضيق صدره فإذا أعطيتمانى الكتاب لأسلمه له يسر به فقال له أخى أتريد خطاب ناصر أم ناصرا نفسه هذا هو ناصر ففرح الخادم ولم يعرف ماذا يفعل وسرنا نحن إلى بلخ عن طريق ميان روستا وقد جاء أخى الخواجة أبو الفتح عبد الجليل إلى دسنكرد عن طريق الصحراء وكان ذاهبا مع الوزير إلى أمير خراسان فلما سمع بأمرنا عاد من دستكرد وانتظرنا على رأس قنطرة جموكيان إلى أن وصلنا وكان هذا فى يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (۲۶ أكتوبر ۱۰۵۲) وقد التقينا وفرحنا باللقاء وشكرنا الله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن فقدنا الأمل فى اللقاء وبعد أن تعرضنا للتهلكة مرات حتى يئسنا من الحياة وفى هذا التاريخ نفسه بلغنا بلخ فقلت هذه الأبيات الثلاثة فى هذا المقام * فإن يكن تعب الدنيا وعناءها طويلين فشرها وخيرها لا محالة منتهيان * إن الفلك يتحرك من أجلنا ليل نهار وكلما راح منا واحد تلاه آخر * إنا نروح ونغدو فى الحياة إلى أن تحين الروحة التى لا عودة منها * وتبلغ المسافة التى قطعناها من بلخ إلى مصر ومن مصر إلى مكة ومنها إلى فارس عن طريق البصرة ثم إلى بلخ عدا الأطراف التى زرناها فى الطريق ألفين ومائتين وعشرين فرسخا

(۱۵۹)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، مدينة البصرة (۱)، خراسان (۱)، الحج (۲)

صفحه ۱۲۹

سفرنامه - ناصر خسرو - الصفحة ۱۶۰

وقد وصفت بأمانة ما رأيت فى رحلتى وأما ما سمعته وكان عليه اعتراض فلا ينسبه القراء إلى ولا يؤاخذونى أو يلومونى عليه وإن وفقنى الله سبحانه وتعالى وسافرت إلى المشرق فسأضم وصف ما أشاهده هناك إلى هذه الرحلة إن شاء الله تعالى وحده العزيز والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين

(۱۶۰)

مفاتيح البحث: الصّلاة (۱)، العزّة (۱)

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ الله – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و

بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹